أعلام المسلمين

٢٥



عبد الحميد محمود طهماز

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

٢٥



إمام العلماء، ومعلّم النّاس الخير

عبد الحميد محمود طهماز

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

دار القلم
دمشق

الطبعة الثالثة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١


معاذ بن جبل
إمام العلماء، ومعلّم النّاس الخير

هَـٰذَا الرَّجُـل

- «يا معاذ، والله إنِّي لأحبُّك»

«معاذ أَمَامَ العلماء يوم القيامة برَتْوة أو رَتوتَين»

محمد رسول الله ﷺ

- «خرج معاذُ إلى الشام، لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وما كان يُفتيهم!!
عمر بن الخطاب

- «إن معاذ بن جبل كان أمةً قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين.. كان يعلِّم الناس الخير، وكان مطيعاً لله ولرسوله».
عبدالله بن مسعود

- «كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، وأسمحهم كفّاً».
جابر بن عبدالله

- «ومنهم: أبو عبدالرحمن معاذ بن جبل، المُحكم للعمل، التارك للجدل، مقدام العلماء، وإمام الحكماء، ومطعم الكرماء، القارىء القانت، المحبُّ الثابت، السهل السريّ، السمح السخيّ، المولى المأمون، والوفيُّ المصون».
أبو نُعيم الأصفهاني



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فما رأيت علَماً من أعلام المسلمين، يحتاج شباب المسلمين في عصرنا الحاضر إلى دراسة حياته والاقتداء به، مثل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

فهو ـ رضي الله عنه ـ شاب من شباب الصحابة، كان له حماس الشباب وجماله وقلّة ماله، أسلم في الثامنة عشرة من عمره، وبايع ـ وهو في هذا العمر ـ رسول الله ﷺ في العقبة، وكان رضي الله عنه شديد الحماس للإسلام، تتوقَّد في قلبه جمرة الإيمان، يغذِّيها حبُّه العظيم للإسلام، وتعلُّقه الشديد برسول الله ﷺ.

وكان له ـ رضي الله عنه ـ مع حماس الشباب وقوة عاطفتهم، حكمة الحكماء وتأنِّي الحلماء، واجه من المحن والأزمات مثل ما يواجه كثيرٌ من شباب الإسلام في العصر

الحاضر، أزمات ومشاكل في البيت الذي نشأ فيه، وقلّة في المال، وفي الاغتراب عن الوطن من أجل الدعوة إلى الله ونشر رسالة الإسلام، وفي السياسة والجهاد لإعلاء كلمة الله، وابتلي - رضي الله عنه - بفقد الأهل والولد والصحة والحياة!!

فكيف واجه - رضي الله عنه - كل هذه المحن والأزمات؟!.

ما أشد حاجة شباب المسلمين اليوم إلى التأسِّي بمعاذ بن جبل والاقتداء به رضي الله عنه، وهذا هو السبب الذي جعلني أعكف في الأيام الأخيرة على إعادة النظر في دراسة لحياة معاذ بن جبل سبق أن أعددتها منذ بضع سنوات، لقد عكفت على ترتيبها وتنسيقها وإضافة معلومات جديدة إليها، لأقدم لشباب المسلمين معاذ بن جبل رضي الله عنه أسوةً طيبة وقدوةً حسنةً، ويا نعم الأسوة، وأكرِم بالقدوة. علم من أعلام وعلماء أصحاب رسول الله ﷺ، كانت له منزلة خاصّة عنده ﷺ، جمع بين العلم والعبادة والجهاد، وعرفه الناس إماماً للعلماء، وعابداً زاهداً من كبار الأولياء، ومجاهداً قضى معظم حياته يجاهد في سبيل الله على بصيرة وهدى، لا تزلزله المحن فيخبط خبط عشواء، ولا تميل به الأهواء فيتنكَّب الصراط المستقيم.

وقد جعلت الكتاب في ثلاثة فصول: فالأول لدراسة حياته،

والثاني لبَعْثة اليمن وما لقي فيها، والثالث لمناقبه رضي الله عنه وأرضاه، وأسأله سبحانه أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

عبدالحميد محمود طهماز

مدرِّس القرآن الكريم وتجويده
في معهد تعليم اللغة العربية
جامعة محمد بن سعود الإسلامية
الريـاض

١٩/ ٥/ ١٤٠٣هـ
٤ / ٣/ ١٩٨٣م



الفصل الأول

لمحات من حياته

اسمه وكنيته ونسبه - نشأته - إسلامه - تكسير الأصنام - دعوة اليهود إلى الإسلام - المؤاخاة في الله - مكانته عند رسول الله ﷺ - جهاده - في بلاد الشام - الطاعون - معاذ والطاعون - وفاته -



لَمَحَاتٌ مِنْ حَيَاتِهِ

اسمه وكنيته ونسبه:

هو معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، أبوه جبل بن عمرو بن أوس، وأمه هند بنت سهل من قبيلة جُهينة.

ويبدو أن والديه توفيا قبل انتشار الإسلام في المدينة المنوَّرة فليس لهما في الإسلام أي ذكر.

ويمتد نسب معاذ من جهة أبيه إلى عمرو بن أُدَي، وبنو أُدَي بطن من بطون الخزرج، بينما يمتد نسبه من جهة أمه إلى جُهينة، وهي قبيلة عربية كانت تعيش ما بين مكة والمدينة قرب ساحل البحر الأحمر.

وكنية معاذ بن جبل أبو عبدالرحمن.

نشأته:

نشأ معاذ في بني سَلِمةَ، مع أنه من بني أُدَي، وسبب

ذلك أن أمَّ معاذ تزوَّجت بعد موت زوجها والد معاذ، رجلاً من بني سَلِمة، هو الجَدُّ بنُ قيس[1]. وقد تحوّل معاذ بن جبل إلى بني سَلِمَة مع أمه فعاش بينهم.

وكان بنو سَلِمة يسكنون في عـوالي المدينـة بعيداً عن المسجد، ولما أرادوا أن ينتقلُوا قرب المسجد، بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالـوا: نعم يـا رسـول الله، قـد أردنـا ذلـك. فقال ﷺ: «يا بني سَلِمـة: ديارَكم تُكْتَبْ آثـارُكم، ديارَكم تُكْتَبْ آثارُكم»[2]، وفي رواية فنـزلت: ﴿ إنا نحن نحيـي الموتى، ونكتبُ ما قدَّموا وآثارَهم ﴾[3] (يٰس: ١٢).

والجَدُّ بن قيس زوج والدة معاذ من أشراف بني سَلِمة، إلَّا أنه كان من المنافقين، وعندما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى تبوك قال للجد بن قيس: «هل لك يا جَدُّ العامَ في جِلاد بني الأصفر[4]؟» قال: يا رسول الله أوَ تأذن لي ولا تفتنِّي، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء منِّي، وإني

---

(١) انظر أسد الغابة لابن الأثير، والطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد.

(٣) أخرجه الترمذي.

(٤) أي في قتال الروم.

أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» ففي الجدِّ ابن قيس نزلت ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنِّي، ألا في الفتنة سقطوا، وإنَّ جهنم لمحيطةٌ بالكافرين ﴾[1] (التوبة: ٤٩). والجدُّ بن قيس هو الذي تخلَّف عن بيعة الرضوان في الحديبية عندما دعا رسول الله ﷺ المسلمين إليها، لم يتخلف غيره[2].

وقد اشتهر الجدُّ بن قيس أيضاً بالبخل، وكان بنو سَلِمة يصرِّحون بذلك، فعندما سألهم رسول الله ﷺ: «من سيدكم يا بني سَلِمة؟» قالوا: الجدُّ بن قيس، على بخله؛ فقال رسول الله ﷺ: «وأيُّ داء أكبر من البخل!»[3].

وهذا يدلنا على طبيعة البيت الذي نشأ فيه معاذ رضي الله عنه، إذ قُدِّر له أن ينشأ في غير بيت أبيه، وفي كنف رجل اشتهر بالبخل والنفاق مع ما له من المكانة بين قومه وعشيرته.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣١٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٤٦١، ورواه البخاري في الأدب المفرد بزيادة: «بل سيدكم عمرو بن الجموح». وأخرجه الحاكم والطبراني.

وإنك لتعجب أشد العجب من هذا الشاب الصغير الفقير، ينشأ في بيت زعيم قومه وزوج أمه، ولا يتأثر بأي خلق من أخلاقه، بل إنه ليرزق الخلق الأفضل والسيرة الأجمل. إنه التوفيق والعناية الربانية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إسلامه:

عندما بدأ الإسلام ينتشر بالمدينة المنورة بعد بَيْعة العقبة الأولى على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه، الذي أرسله النبي ﷺ مع من حضر العقبة الأولى من الأنصار ليفقههم في الدين ويُقرئهم القرآن الكريم؛ أسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه. وكان عندما أسلم في باكورة شبابه، عمره ثمانية عشر عاماً، وفي السنة التي أسلم فيها سافر إلى مكة مع رجال قومه من الأنصار في موسم الحج ليلتقي بالنبي ﷺ ويشهد بيعة العقبة الثانية.

كانت بيعة العقبة الثانية أول الأحداث الكبيرة التي شهدها معاذ بن جبل في الإسلام، وكان لهذه البيعة أعظم الآثار في تاريخ الإسلام، فهي التي فتحت طريق الهجرة إلى المدينة المنوَّرة، وتحمَّل الأنصار رضي الله عنهم فيها عبء

الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرة الإسلام إذا هاجر إليهم، وامتدت يد معاذ ليبايع النبي ﷺ وهو يسمع قوله عليه الصلاة والسلام: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم»[1].

إنها لمسؤولية كبيرة وأمانة عظيمة وتبعة جسيمة، حملها معاذ بن جبل كما حملها معه اثنان وسبعون رجلاً وامرأتان، حملوها رضي الله عنهم وهم يعلمون ما يترتَّب عليها، يدلُّ على ذلك أن العباس بن عُبادة الأنصاري قال لقومه الخزرج قبل المبايعة: (يا معشر الخزرج، هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل؟!) قالوا: نعم؛ قال: (تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترَون أنكم إذا نُهكت[2] أموالُكم مصيبةً، وأشرافكم قتلاً، أسلمتموه؛ فمن الآن؛ فهو ـ والله ـ إن فعلتم خِزْيُ الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترَون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نَهْكة الأموال، وقتل الأشراف؛ فخذوه؛ فهو ـ والله ـ خير الدنيا والآخرة) قالوا:

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٤٤٢.

(٢) ذهبت ونقصت.

إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا بذلك؟ قال: «الجنة» قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه[1].

وهكذا عرف معاذ في هذه البيعة الطريق الذي سيسلكه في حياته، واختار راضياً مطمئناً هذا الطريق مع ما فيه من مشقَّة وشدَّة، لأنه طريق الجنَّة.

تكسيره للأصنام:

عاد معاذ من مكة إلى المدينة المنوَّرة ممتلئاً حماساً ونشاطاً للدعوة إلى الدين الجديد وتوطيد دعائمه وأركانه في المدينة، تمهيداً لهجرة النبي ﷺ إليها، لتكون معقل الإسلام وحصنه المنيع وقاعدة انطلاقه وانتشاره في العالم.

ورأى معاذ مع بعض شباب الأنصار أنَّ أول واجب من واجباتهم الإسلامية أن يطهِّروا المدينة المنوَّرة من الأصنام، فلا يزال فيها بعض من يتمسك بعبادة الأصنام، قال ابن سعد في كتاب الطبقات: وكان معاذ بن جبل لمَّا أسلم يكسر

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٤٦.

أصنام بني سَلِمة، هو وثَعْلَبَةُ بن عَنَمة، وعبدالله بن أُنيس[١].

وقد أورد ابن هشام في السيرة قصَّة صنم عمرو بن الجموح، ومشاركة معاذ في تكسيره والتخلُّص منه فقال:

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام فيها، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو ابن الجموح، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان عمرو بن الجموح سيِّداً من سادات بني سَلِمة، وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب، يقال له «مَنَاة» كما كانت الأشراف يصنعون، فلمَّا أسلم فتيان بني سَلِمة: معاذ بن جبل، ومعاذ بن عمرو، في فتيان ممَّن أسلم وشهد العقبة، كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة، وفيها عِذَر الناس[٢]، مُنكَّساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عَدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه، حتى إذا وجده غسله وطهَّره وطيَّبه، ثم قال: أمَا

---

(١) الطبقات ٣/٥٨٣.

(٢) أي فضلاتهم وأقذارهم.

ـ والله ـ لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينَّه. فإذا أمسى ونام عمرو، عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوه يوماً، فغسله وطهَّره وطيَّبه، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه، ثم قال: إنِّي ـ والله ـ ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك، فلما أمسى ونام عمرو، عَدَوا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقَوه في بئر من آبار بني سَلِمة، فيها عِذَرٌ من عِذر الناس، ثم غدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتَّبعه حتى وجده في تلك البئر منكَّساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلَّمه من أسلم من رجال قومه؛ أسلم يرحمه الله، وحسُن إسلامه، فقال حين أسلم، يذكر صنمه، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكنْ
أنت وكلبٌ وسْط بئر في قرنْ
الحمد لله العليِّ ذي المِنَنْ
الواهبِ الرَّزّاقِ ديَّان الدِّيَنْ[1]

---

(١) أراد بالدِّيَن: الأديان.

هو الذي أنقذني من قبل أن
أكون في ظلمة قبر مُرْتَهَنْ[1]

ونقل ابن هشام عن ابن إسحاق قوله: والذين كسروا آلهة بني سلمة: معاذ بن جبل، وعبدالله بن أُنيس، وثعلبة بن عنمة[2].

دعوته اليهود إلى الإسلام:

لم يكن نشاط معاذ بن جبل في نشر الإسلام قاصراً على العرب وعلى تكسير الأصنام، بل امتد إلى اليهود الذين كانوا يسكنون في المدينة المنوَّرة، والذين كانوا كثيراً ما يتحدَّثون عن رسول الله ﷺ قبل مبعثه، لأن صفاته موجودة في التوراة، فلمَّا بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، ولهذا ذهب إليهم معاذ بن جبل مع بِشْر بن البراء أخو بني سَلِمة، وقال لهم: يا معشر يهود، اتَّقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون[3] علينا بمحمد ونحن أهل

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٤٥٢.
(٢) المرجع نفسه ١/٦٩٩.
(٣) تستنصرون.

شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونـه لنا بصفتـه، فقال سَلَّام بن مِشْكَم، أخو بني النَّضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ ولَمَّا جاءهم كتابٌ من عند الله مُصَدِّقٌ لِما معهم ـ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ـ فلمَّا جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين ﴾[1] (البقرة: ٨٩).

وكرَّر معاذ سؤال اليهود عن صفات رسول الله ﷺ التي في التوراة، قال ابن هشام في السيرة: وسأل معاذ بن جبل أخـو بني سَلِمة، وسعـد بن معاذ أخـو بني عبدالأشهـل، وخارجة بن زيد أخو بَلْحارث بن الخزرج، نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التـوراة، فكتموهم إيـاه، وأبَوْا أن يخبروهم عنه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيِّنات والهُدى من بعد مـا بيّناه للنـاس في الكتـاب؛ أولئـك يلعنُهم الله ويلعنُهم الـلاعنـون ﴾[2] (البقرة: ١٥٩).

وذهب معاذ إلى اليهود مرَّة مع رسول الله ﷺ، ودعا

---

(١) انظر مختصر ابن كثير ١/٨٨. وسيرة ابن هشام، ١/٥٤٧.
(٢) السيرة ١/٥٥١.

رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغَّبهم فيه، وحـذَّرهم غِيرَ[1] الله وعقوبته، فأبَوْا عليه وكفروا بما جاءهم به، فقال لهم معـاذ بن جبل، وسعـد بن عبـادة، وعقبـة بن وهب: يا معشر يهود اتَّقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنَّه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته؛ فقال رافع بن حُريملة، ووَهْب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم على فَتْرة من الرسل أنْ تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير ﴾[2] (المائدة: ١٩).

وفي كل هذا دلالة على شدة حماسة معاذ في الدعوة إلى الله ومساعدة رسول الله ﷺ في ذلك.

المؤاخاة في الله:

آخى رسول الله ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة بين أصحابه

---

(١) الغِيَر: الاسم من قولك (غَيَّرتُ الشيءَ) ومنه غِيَر الزمان. كذا في مختار الصحاح.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٦٤.

من المهاجرين والأنصار، ليُذهبَ عن المهاجرين وَحْشة الغربة ويُؤنسَهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدَّ أزر بعضهم ببعض، فلمّا عزَّ الإسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وأُولو الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله﴾ (الأنفال: الآية ٧٥)، ثم جعل المؤمنين كلَّهم إخوة فقال: ﴿إنَّما المؤمنون إخوة﴾[١] (الحجرات: الآية ١٠).

وذكر ابن هشام في السيرة أنَّ النبي ﷺ آخى بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وأنه ﷺ كان يقول عندما آخى بين المهاجرين والأنصار: «تآخَوْا في الله أَخَوَيْن أَخَوَيْن»[٢].

إلّا أن هذه المؤاخاة بين معاذ بن جبل وجعفر بن أبي طالب يعارضها غياب جعفر في ذلك الوقت بالحبشة، ولعل ابن هشام استشكل هذه المؤاخاة بقوله بعد ذكرها: وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة[٣].

(١) حاشية السيرة عن السهيلي ١/٥٠٥.
(٢) المرجع نفسه ١/٥٠٥.
(٣) السيرة ١/٥٠٥.

وهذا يجعلنا نختار رواية الواقدي التي ذكر فيها أن المؤاخاة كانت بين معاذ بن جبل والصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وهو ما ذكره ابن الأثير في كتابه أسد الغابة وابن سعد في كتاب الطبقات، ويؤكِّد هذا أنَّ النبي ﷺ أمر عبدالله بن مسعود أن يقرىء معاذاً القرآن الكريم، فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء معاذ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أقرئني، فقال رسول الله ﷺ: «أقرئْه» فأقرأتُه ما كان معي، ثم اختلفتُ أنا وهو إلى رسول الله ﷺ، فقرأ معاذ، وكان معلِّماً من المعلِّمين على عهد رسول الله ﷺ[١].

فمعاذ إذن كان كثير الاجتماع بابن مسعود، تلقَّى عنه القرآن الكريم الذي نزل على النبي ﷺ قبل الهجرة، ثم كانا يجتمعان عند رسول الله ﷺ ليتلقَّيا ويحفظا من النبي ﷺ ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة، فلا يبعد أن يكون النبي ﷺ قد آخى بينهما. وكثيراً ما أثنى عبدالله بن مسعود على معاذ بن جبل رضي الله عنهما، حتى إنه قال فيه: (إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً)[٢].

---

(١) منتخب كنز العمال. هامش مسند أحمد ٥/ ٢٦٩.

(٢) أسد الغابة، ٣/ ١٩٦.

وهذا يدل على أن ابن مسعود يعرف معاذاً معرفة كبيرة، ممَّا يؤكد أن النبي ﷺ قد آخى بينهما، وكان معاذ يعرف أيضاً فضل ابن مسعود وعلمه ويوصي تلاميذه ـ كما سيمر معنا ـ بأن يطلبوا العلم عند ابن مسعود. ولعل هذا السبب الذي جعل الواقدي يحكي الإجماع على المؤاخاة مع ابن مسعود[1].

مكانته عند رسول الله ﷺ:

كان لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه مكانة عالية عند رسول الله ﷺ، فمعاذ كان كثير الملازمة لـرسول الله ﷺ، يحرص أشد الحرص على الاقتراب منه، في الحضر والسفر، والنبي ﷺ كـان يقرِّبـه ويدنيـه ويخصُّـه ببعض الأحـاديث والوصايا. من ذلك ما حدَّث به معاذ رضي الله عنه فقال: خرج رسول الله ﷺ قِبَلَ غزوة تبوك، فلما أن أصبح صلَّى بالناس صلاة الصبح، ثم إن الناس ركبوا، فلمَّا أن طلعت الشمس نعس الناس على أثر الدُّلْجة[2]، ولزم معاذ رسول الله ﷺ، يتلو أثره، والناس تفرَّقت بهم ركابهم على جَوادِّ[3]

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٢٧.

(٢) السير في الليل.

(٣) أطراف الطريق.

الطريق تأكل وتسير، فبينما معاذ على أثر رسول الله ﷺ، وناقته تأكل مرة وتسير أخرى، عثرت ناقة معاذ، فكبحها بالزِّمام، فهبَّت حتى نفرت منها ناقة رسول الله ﷺ، ثمَّ إنَّ رسول الله ﷺ كشف عنه قناعه، فالتفت فإذا ليس من الجيش رجل أدنى إليه من معاذ، فناداه رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ» قال: لبيك يا نبي الله، قال: «ادنُ دونك» فدنا منه حتى لصقت راحلتاهما إحداهما بالأخرى، فقال رسول الله ﷺ: «ما كنت أحسب الناس منا كمكانهم من البعد» فقال معاذ: نعس الناس فتفرَّقت بهم ركابهم ترتع وتسير، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا كنت ناعساً» فلما رأى معاذ بشرى رسول الله ﷺ وخلوته له، قال: يا رسول الله ائذن لي أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني، فقال نبي الله ﷺ: «سلني عما شئت» قال: يا نبي الله حدثني بعمل يدخلني الجنة، لا أسألك عن شيء غيرها، قال نبي الله ﷺ: «بَخٍ بَخٍ بَخٍ[1]، لقد سألت بعظيم، لقد سألت بعظيم ـ ثلاثاً ـ وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، فلم يحدثه بشيء إلا أعاده عليه ثلاث مرات، فقال نبي الله ﷺ:

(١) كلمة تقال عند المدح والرضا.

«تؤمن بالله واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً حتى تموت وأنت على ذلك».

ثم قال نبي الله ﷺ: «إن شئت حدَّثتك يا معاذ برأس هذا الأمر وقِوَام هذا الأمر وذِرْوة السنام».

فقال معاذ: بلى، بأبي وأمي أنت يا نبي الله فحدِّثْني، فقال نبي الله ﷺ:

«إنَّ رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. وإنَّ قوام هذا الأمر إقامَ الصلاة، وإيتاء الزكاة. وإنَّ ذروة السّنام منه الجهادُ في سبيل الله، إنما أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله عز وجل».

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه، ولا اغبرَّت قدم في عمل تُبتغىٰ فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثقَّل ميزان عبد كدابَّة تُنفَق له في سبيل الله، أو يحمل عليها في سبيل الله»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٢٤٥ ـ ٢٤٦.

ولا شك أنَّ النبي ﷺ كان أعرف الناس بأصحابه، وكان يحبُّهم ويقرِّبهم على قدر معرفته بهم، ولقد عرف النبي ﷺ معاذ بن جبل، عرفه صادقاً مخلصاً مجاهداً، فأحبَّه وقرَّبه، وصرَّح له عليه الصلاة والسلام بمحبته، لتقرّ عين معاذ بذلك وتهنأ، فقد أخذ ﷺ يوماً بيد معاذ، ثم قال: «يا معاذ والله إنِّي لأحبُّك» فقال معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا أحبُّك.

فقال ﷺ: «أوصيك يا معاذ، لا تَدَعنَّ في دُبر كل صلاة أن تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»[1].

فما أجمل هذه الوصية؛ وما أعظم سعادة معاذ والنبي ﷺ يقسم بالله أنَّه يحبه، إنَّها لمنقبةٌ عظيمةٌ من مناقب معاذ، وفضيلة من فضائله، ومكرمة خصَّه بها النبي ﷺ، تدل على رفعة مكانته عنده عليه الصلاة والسلام.

ومن تكريم رسول الله ﷺ لمعاذ أنه كان أحياناً يردفه خلفه على دابته، وقد حدَّث معاذ بهذا فقال: بينما أنا رديف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرَّحْل، فقال: «يا معاذ» قلتُ: لَبَّيك رسول الله وسَعْدَيك، قال ثم سار ساعة، ثم

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/٢٤٥. وأبو داود والترمذي.

قال: «يا معاذ بن جبل»، قلتُ: لَبَّيْك رسول الله وسَعْدَيك، قال ثم سار ساعة ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لَبَّيك رسول الله وسَعْدَيك، قال: «هل تدري ما حقُّ الله على العباد»؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» قال ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل» قلتُ: لَبَّيك رسول الله وسَعْدَيك، قال: «فهل تدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك»؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ حقَّ العباد على الله أن لا يعذبهم»[1].

جهاده رضي الله عنه:

منذ بايع معاذ بن جبل رسول الله ﷺ بَيْعة العقبة سار في الطريق الذي عاهد رسول الله ﷺ على السَّيْر فيه، وهو طريق الجهاد لإعلاء كلمة الله، وظل معاذ رضي الله عنه على هذا الطريق يجاهد في سبيل الله دون كلل أو ملل حتى آخر حياته، ولقد كان رضي الله عنه وفيّاً ببيعته، شهد مشاهد الجهاد كلَّها مع رسول الله ﷺ، فما فاته واحد منها.

---

(١) رواه أحمد في المسند، ٥/٢٤٢. وهو في الصحيحين.

قال ابن هشام في السيرة وهو يتحدَّث عن جهاد معاذ: شهد بدراً، والمشاهد كلَّها[1]. وقال ابن الأثير: شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[2].

بدأ جهاد معاذ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ منذ العقبة واستمر معه إلى غزوة تبوك، ومن المعلوم أن غزوة تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ، وهي أعظم أعماله العسكرية وأكبرها، وكان معاذ رضي الله عنه بجانب رسول الله ﷺ في كل مراحل هذه الغزوة، ففي الطريق كان معاذ قريباً من رسول الله ﷺ كما مرَّ معنا، ولمَّا وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك كان معاذ بجانبه، وقد روى حديث وصوله عليه الصلاة والسلام إلى تبوك فقال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلَّى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً؛ حتى إذا كان يوماً أخَّر الصلاة ثم خرج، فصلَّى الظهر والعصر جميعاً. ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلَّى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال:

---

(١) السيرة ١/٤٦٤.

(٢) أسد الغابة ٤/٣٧٢.

«إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يُضْحِيَ النهار، فمن جاءها منكم فلا يمسَّ من مائها شيئاً حتى آتي».

فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعَيْنُ مثلُ الشِّراك تَبِضُّ[1] بشيء من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً»؟ قالا: نعم، فسبَّهما النبيُّ ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العَيْن قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العينُ بماء منهمر، حتى استقى الناسُ، ثم قال:

«يوشكُ ـ يا معاذ ـ إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما هُهنا قد مُلِئَ جِناناً»[2].

وبعد غزوة تبوك أرسل النبي عليه الصلاة والسلام، معاذاً إلى اليمن ـ وسأفرد لرحلة اليمن فصلاً خاصاً لأهميتها ـ وعاد معاذ من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ.

---

(١) معناها تسيل، والشراك: سير النعل، والمعنى ماء قليل جداً.

(٢) صحيح مسلم، وانظر البداية والنهاية ١٢/٥ والحديث من أعلام نبوته عليه السلام، وتبوك الآن مليئة بالبساتين.

ولم يترك معاذ رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ طريق الجهاد الذي سار فيه منذ بَيْعة العقبة، بل ظل على الطريق، وشارك في معارك الجهاد في بلاد الشام.

في بلاد الشام:

لقد أراد رضي الله عنه الشهادة في سبيل الله، فاستأذن خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يأذن له ليخرج إلى الجهاد في بلاد الشام، فأذن له أبو بكر، رغم معارضة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، لأن عمر رأى أنَّ بقاء معاذ في المدينة أكثر فائدة للمسلمين، ولنستمع إلى عمر يحدثنا عن هذا الأمر فيقول:

خرج معاذٌ إلى الشام، لقد أخَلَّ خروجُه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليَّ وقال: رجل أراد وجهاً يريد الشهادة فلا أحبسه، فقلتُ: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته، عظيمُ الغنى عن مِصْره[1].

ولعل معاذاً اختار الخروج إلى بلاد الشام دون غيرها لأنَّ

---

(١) منتخب الكنز على هامش المسند ٥/٢٦٨، والطبقات.

النبي ﷺ قرن بين الشام واليمن في الدعاء لهما، ففي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال:

«اللَّهمَّ بارك لنا في شامنا وفي يمننا».

فأراد رضي الله عنه أن يكون له سهم في نشر الإِسلام ورفع رايته في بلاد الشام، كما كان له في اليمن عندما أرسله عليه الصلاة والسلام إليها.

وخروج معاذ إلى بلاد الشام في عهد أبي بكر رضي الله عنه، يدلُّ على أن معاذاً شارك في أكثر المعارك التي أدَّت إلى فتح بلاد الشام: اليرموك، أجنادِين، فِحل، فتح دمشق.

ولمَّا عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد عن إمرة جيوش المسلمين في بلاد الشام، وولَّى مكانه أبا عبيدة بن الجراح، رضي الله عنهم، كان معاذ بن جبل الساعد الأيمن لأبي عبيدة في تصريف شؤون المهمّة الكبرى التي أُسندت إليه كما كان يشترك مع أبي عبيدة في إرسال الرسائل إلى عمر ينصحانه.

وقد ذكر أبو نعيم الأصبهاني في الحلية إحدى هذه الرسائل وفيها:

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب: سلام عليك، أما بعد:

فإنَّا عهدناك وأمر نفسك لك مهمٌّ، فأصبحت قد وُلِّيت أمر هذه الأمّة، أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصَّته من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر، فإنَّا نحذِّرك يوماً تُعنى[1] فيه الوجوه وتَجِفُّ فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته، فالخلقُ داخرون له، يرجون رحمته ويخافون عقابه، وإنَّا كنَّا نُحدَّث أنَّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنَّا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنَّا كتبنا به نصيحةً لك، والسلام عليك.

وردَّ عليهما عمر بكتاب قال فيه:

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ومعاذ: سلام عليكما، أما بعد:

أتاني كتابكما تذكران فيه... وكتبتما فيه: فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر؛ وإنَّه لا حول ولا قوّة لعمر عند ذلك إلَّا بالله عز وجل، وكتبتما تحذِّراني ما حُذِّرتْ منه الأمم قبلنا، وقديماً

---

(١) من قوله تعالى: ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾.

كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقرِّبان كل بعيد، ويُبْليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار، وكتبتما تحذِّراني أنَّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة، وتكون رغبة الناس إلى بعضهم لصلاح دنياهم... وإنكما كتبتما نصيحة لي وقد صدقتما فلا تدعا الكتاب إليَّ فإنَّه لا غنى بي عنكما، والسلام عليكما.

وبعد موت أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بالطاعون تولَّى معاذ بن جبل القيادة العامَّة لجند الشام.

طاعون عَمَواس

«عَمَواس» بلدة صغيرة في فلسطين، تقع بين القدس والرَّملة، اشتهرت هذه البلدة عندما نسب إليها الطاعون الذي انتشر بعد فتح بلاد الشام، والذي مات فيه كثير من جنود الفتح، قال ابن كثير: هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عَمَواس ـ بين القدس والرَّملة ـ أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر في الشام منها، فنسب إليها، قال الواقدي: توفي في عام طاعون عَمَواس من المسلمين بالشام

خمسة وعشرون ألفاً. وقال غيره: ثلاثون ألفاً[1].

معاذ والطاعون:

لما رأى معاذ انتشار الطاعون في بلاد الشام تمنى أن يصاب به؛ بل سأل الله ذلك في دعائه. روى ابن سعد في الطبقات عن داود بن الحصين أنه بلغه أنه لما وقع الوجعُ عام عَمَواس قال أصحاب معاذ: هذا رِجْزٌ[2] قد وقع، فقال معاذ:

أتجعلون رحمةً رحم الله بها عباده كعذاب عذَّب الله به قوماً سخط عليهم؟! إنَّما هي رحمة خصَّكم الله بها، وشهادة خصَّكم الله بها، اللَّهمَّ أدخل على معاذ وأهل بيته من هذه الرحمة، من استطاع منكم أن يموت فليمت من قبل فتن ستكون، من قبل أن يكفر المرء بعد إسلامه، أو يقتل نفساً بغير حلِّها، أو يُظاهر أهلَ البغي، أو يقول الرجل: ما أدري على ما أنا إنْ مت أو عشت، أعلى حقٍّ أو على باطل[3].

---

(١) البداية والنهاية ٧/٩٣.

(٢) أي عذاب، وفي الحديث: «الطاعون رجز، أو عذاب أُرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه» متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٣) الطبقات ٣/٥٨٩.

وهذا يدل على أن معاذاً كان يرى في الطاعون رحمة وشهادة، ولا يراه بلاءً وامتحاناً، ويبدو أن الذي حمله على هذا أمران:

أولهما أنَّ النبي ﷺ قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم»[1]، وروى معاذ أيضاً أن النبي ﷺ قال: «ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم، ويكون فيكم داء كالدُّمَّل[2] ـ أو كالحَزَّة ـ يأخذ بمراق[3] الرجل، يستشهد الله به أنفسهم، ويزكِّي بها أعمالهم» قال معاذ: (اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنَّ معاذ بن جبل سمعه من رسول الله ﷺ، فأعطِه هو وأهل بيته الحظَّ الأوفر منه) فأصابهم الطاعون، فلم يبقَ منهم أحد، فطُعن معاذٌ في أصبعه السبّابة، فكان يقول: ما يسرني أن لي بها حُمْرَ النَّعمِ[4].

والأمر الثاني الذي حمل معاذاً على أن يسأل الطاعون

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، والطاعون يكون شهادة للمسلم إذا صبر ورضي بقضاء الله، فلا يتعارض مع الحديث الذي يخبر أن الطاعون عذاب ورجز.

(٢) الدُّمَّل: واحد دماميل: القُروح.

(٣) أسفل البطن.

(٤) المسند ٥/٢٤١. وحمر النعم: الإبل الحمراء، وهي أجود أموال العرب.

لنفسه وأهل بيته، يبدو من خلال كلماته السابقة، فقد كان رضي الله عنه يتوقَّع أن يُبتلى المسلمون بالاختلاف والفُرقَة، وأنَّ ذلك سيوقع الفتن والقتال بينهم، ولهذا قال كما مرَّ معنا: من استطاع منكم أن يموت فليمت من قبل فتن ستكون. . .

بل قد جاء في بعض كلمات معاذ ما يدلُّ على أنه كان يرى أن عصر الفتن والاقتتال والاختلاف ليس بعيداً، وأنه سيحدث بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقد أخرج ابن جرير عن ابن أبي مريم قال: مرَّ عمر بن الخطاب بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فقال: ما قَوَام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهنَّ المنجيات: الإخلاص ـ وهي الفطرة ـ، والصلاة ـ وهي الملَّة ـ، والطاعة ـ وهي العصمة ـ، فقال عمر: صدقتَ، فلما جاوزه قال معاذ لجلسائه: (أما إنَّ سِنِيَّك خيرٌ من سنيِّهم، ويكون بعدك اختلاف، ولن يبقى ـ يعني عمر ـ إلَّا يسيراً)[1].

فالخوف من الوقوع في الفتن، والحرص على سلامة دينه، هو الذي جعل معاذاً يتمنَّى الموت بالطاعون. وإلَّا فالطاعون بلاء من الله سبحانه، ولا يجوز للمسلم أن يتمنَّى البلاء، بل

---

(١) حياة الصحابة ٤/٦٢٤.

عليه أن يسأل الله العافية، كما لا يجوز له أن يتمنَّى الموت لضرٍّ نزل به، ففي الحديث الشريف أنَّ النبي ﷺ قال: «لا يتمنَّينَّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بدَّ متمنياً فَلْيَقُلْ: اللَّهمَّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[1].

كما لا يجوز لمن يكون بعيداً عن أرض الطاعون أن يأتي إليها، قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»[2].

وقد يقول قائل: كيف عرف معاذ بن جبل أن الفتن ستقع بين المسلمين؟!

والجواب على هذا القول في الأحاديث الشريفة الكثيرة التي تحدَّث فيها ﷺ عن الفتن قبل وقوعها، وحذَّر أصحابه منها، والتي تُعدُّ من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، ولا بدَّ أن يكون معاذ بن جبل رضي الله عنه قد سمع الكثير منها.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري ومسلم والترمذي.

وفاته رضي الله عنه:

استجاب الله سبحانه لدعوة معاذ، عندما دعا ربَّه يسأله أن يدخل عليه وعلى أهل بيته من هذه الرحمة، فلما أمسى حتى أصيب ولداه، فقال لهما بعد أن أصيبا: كيف تجدانكما؟ قالا: يا أبانا الحقُّ من ربِّك فلا تكونَنَّ من الممترين، فقال رضي الله عنه: وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين، فعاشا ليلة واحدة، ثم دفنهما بعدها من الغد، ثم أصيبت امرأتاه فهلكتا، ثم أصيب هو رضي الله عنه.

وقعت الإصابة أولاً في سبَّابته، فجعل يقول: اللَّهمَّ إنَّها صغيرة فبارك فيها، فإنَّك تبارك في الصغير. وامتدت بعد ذلك حتى كانت سبب وفاته.

غلب عليه رضي الله عنه في أول النَّزْع الخوف من سوء العاقبة، فجعل يبكي، فقيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟! فقال: ما أبكي جزَعاً من الموت أنْ حَلَّ بي، ولا دنيا تركتها بعدي، ولكن إنَّما هما القبضتان، فلا أدري من أيِّ القبضتين أنا[1].

---

(١) أي لا أدري هل أنا من أهل النار، أو من أهل الجنة. انظر أسد الغابة.

ثم غلب عليه ـ رضي الله عنه ـ بعد الخوف الرجاءُ، وهو ما يغلب على الصالحين عند الموت، فكان يقول في ليلة اليوم الذي توفي فيه: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت، مرحباً زائر مُغِبٌّ[1]، حبيب جاء على فاقة، اللَّهمَّ إنِّي كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللَّهمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجَرْي الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأِ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَبِ عند حلق الذِّكر[2].

وكلّما أفاق من سكرة من سكرات الموت، وغشية من غشياته، خاطب ربَّه بما يدل على شعوره بالرضا عن الله سبحانه، فقال: (ربِّ اخنقني خنقتك، فَوَعزَّتك إنَّك لتعلم أن قلبي يحبُّك)[3].

كانت وفاته رضي الله عنه سنة ثماني عشرة، وقيل سبع عشرة، والأول أصح، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة، وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل ثمان وعشرون سنة، وهذا بعيد، لأنه

(١) زائر جاء بعد غياب.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٣٩.

(٣) انظر الحلية والطبقات.

شهد العقبة وهي قبل الهجرة ومُقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة النبي ﷺ ثمان سنين، فيكون من الهجرة إلى وفاته ثماني عشرة سنة، فعلى هذا يكون له وقت العقبة عشر سنين، وهو بعيد جداً[١].

حليته رضي الله عنه

جمع الله سبحانه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه جمال الخَلْق وجمال الخُلُق، دلَّ على ذلك وصف جابر بن عبدالله رضي الله عنهما لمعاذ في قوله:

كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأسمحهم كفّاً[٢].

ووصفه أيضاً كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه فقال: كان رجلاً طويلاً، أبيضَ، حسن الثغر، عظيم العينين، ذا شَعْر متجعِّدٍ قَطَطٍ[٣].

وأخرج أبو نُعيم عن أبي بحرية قال: دخلت مسجد

(١) انظر أسد الغابة.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الطبقات والبداية والنهاية. والقطط: الشعر القصير المتجعد.

حمص، فإذا أنا بفتى حوله الناس، جَعْدٌ قَطَط، فإذا تكلم، كأنَّما يخرج من فيه نور يتلألأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل رضي الله عنه[1].

وروى الواقدي عن أشياخ له قالوا: كان معاذ رجلاً طويلاً أبيض، حسن الشعر، عظيم العينين، مجموع الحاجبين جَعْداً قططاً[2].

ومع شبابه وجماله كان رضي الله عنه مهيباً، يغلب عليه سَمْت العلماء وهيبتهم ووقارهم، وسيأتي معنا في الحديث عن علمه رضي الله عنه أنَّ الصحابة إذا تحدَّثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هَيْبةً له.

---

(١) حلية الأولياء، ١/٢٣١.

(٢) صفة الصفوة، ١/٤٩٠.

الفصل الثاني

البعثة إلى اليمن

تمهيد - وقتها - أسبابها - الوصايا - الوداع - مهمة معاذ في اليمن - في اليمن - الفتنة - الأسود العنسي - الانسحاب - رؤيا النبي ﷺ - الفرس الأبناء - العودة من اليمن.



البعثة إلى اليمن

تمهيد:

اليمن قطر عربي ذو ماضٍ حضاريٍّ عريق، وقد اشتهر اليمنيون بالذكاء والشجاعة والحكمة، حتى إنَّ النبي ﷺ أثنى عليهم فقال: «أتاكم أهل اليمن، هم أرقُّ أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يَمَان، والحكمة يمانيَّة، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»[1].

وقد جاءت وفود ملوك حمير من اليمن إلى النبي ﷺ بعد عودته من تبوك، تعلن الإسلام وتبايع النبي ﷺ، فاختار النبي ﷺ من أصحابه: معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، ومالك بن عبادة، وغيرهم، وكتب إلى زُرْعة ذي يزن:

«إذا أتاك رسلي فأوصيك بهم خيراً... وإنَّ أميرهم

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

معاذ بن جبل، فلا ينقلبَنَّ إلَّا راضياً... وإنِّي قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، فآمركم بهم خيراً، فإنَّهم منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وهذا يدل على اهتمام النبي ﷺ بأهل اليمن، فلم يرسل إليهم عليه الصلاة والسلام إلا من يثق بعلمه ودينه، وقد استدلَّ ابن حجر العسقلاني على أنَّ أبا موسى الأشعري كان حاذقاً فطناً عالماً، بسبب بَعْثة النبي ﷺ لأبي موسى إلى اليمن، فقال: (استُدِلَّ به على أنَّ أبا موسى كان عالماً فَطِناً حاذقاً، ولولا ذلك لم يوَلِّه النبي ﷺ الإمارة، ولذلك اعتمد عليه عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه، ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفِّين، قال ابن العربي وغيره: والحقُّ أنَّه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك، وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أدَّاه إلى أن يجعل الأمر شورى بين من بقي من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم، لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفِّين، وآل الأمر إلى ما آل إليه)[2].

(١) انظر الكتاب كاملاً في البداية والنهاية ٥/٧٥.
(٢) انظر فتح الباري ٣/٥٠.

ولا شكَّ أنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه جدير بمثل ما وُصف به أبو موسى، لكنَّ ابن حجر لم يذكره، لأنَّ معاذاً لم يتعرَّض لمثل ما تعرَّض له أبو موسى، ولم يدرك أيام الفرقة والاختلاف.

وقتها:

اتفق العلماء على أنَّ رحلة معاذ إلى اليمن كانت في أواخر حياة النبي ﷺ، إلَّا أنَّهم اختلفوا في تحديد تاريخ بدئها، قال ابن حجر: وكان بَعْثُ معاذ إلى اليمن سنة عشر من الهجرة قبل حجِّ النبي ﷺ كما ذكره المصنِّف - أي البخاري - في أواخر المغازي، وقيل: كان ذلك في أواخر سنة تسع، عند منصرفه ﷺ من تبوك، رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك، وأخرجه ابن سعد في الطبقات عنه، ثم حكى ابن سعد أنه كان في ربيع الآخر سنة عشر، وقيل بعثه عام الفتح سنة ثمان، واتفقوا أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر[1]. إلَّا أنَّ القول الأخير، بأن بعثة اليمن كانت في سنة ثمان، غير صحيح لما مرَّ معنا في بحث «جهاد معاذ» أنَّه

---

(1) انظر فتح الباري ٣/٣٨٣.

رضي الله عنه شهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ، قال البيهقي: وقد قدَّمنا أنَّ رسول الله ﷺ استخلفه بمكة مع عتَّاب بن أَسِيد، ليعلِّم أهلها، وأنَّه شهد غزوة تبوك، فالأشبه أن بَعْثه إلى اليمن كان بعد ذلك[1].

وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه باباً خاصاً ليبيِّن تاريخ بَعْثة معاذ وأبي موسى الأشعري إلى اليمن، فقال: بَعْثُ أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. ثم قال: حدَّثنا موسى، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبدالملك عن أبي بردة، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مِخْلاف[2].

ولا نجد في الحديث تحديداً لتاريخ بَعْثة اليمن، والظاهر أنَّها كانت في أواخر السنة التاسعة من الهجرة أو في أوائل السنة العاشرة بعد عودته عليه الصلاة والسلام من تبوك، لأنَّه عليه الصلاة والسلام استقبل وفود ملوك اليمن في ذلك الوقت. وهذا لا يتعارض مع ما ذكره البخاري بأنها كانت قبل حجة الوداع، لأنَّ حجة الوداع كانت في السنة العاشرة، لكنه

(١) البداية والنهاية ٥/١٠٣.

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري أواخر المغازي.

والمخلاف: المنطقة أو المحافظة في الاصطلاح الحديث.

يتعارض مع ظاهر قوله ﷺ لمعاذ، وهو يودِّعه: «إنَّك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا» ومن المعلوم أنَّه عليه الصلاة والسلام توفي في أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة، ممَّا يجعلنا نجزم أنها بدأت في أوائل السنة العاشرة من الهجرة، وانتهت في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أسبابها:

لا شكَّ أنَّ سبب بعثة اليمن رغبة النبي ﷺ في ترسيخ الإسلام في اليمن وتقويته، بتعليم اليمنيين حقائق الإسلام، ولهذا اختار ﷺ جماعة من خيار الصحابة علماً وعملاً وفقهاً لهذه المهمة الجليلة، وجعل معاذ بن جبل أميراً عليهم كما مرَّ معنا، فقد كان رضي الله عنه أميراً للنبي عليه الصلاة والسلام على اليمن، قال ابن حجر العسقلاني: وأمَّره النبي ﷺ على اليمن[1].

وهناك سبب مباشر لبعثة معاذ إلى اليمن، هو رغبة النبي ﷺ أن يساعد معاذ بن جبل رضي الله عنه، بعد أن أنفق كل ماله وركبته الديون بسبب كثرة إنفاقه وسخائه، قال

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٤٢٧.

الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً وأسمحهم كفاً، فادَّان ديناً كثيراً، فلزمه غرماؤه، حتى تغيَّب عنهم أياماً في بيته، فطلب غرماؤه من رسول الله ﷺ أن يحضره، فأرسل إليه فحضر ومعه غرماؤه، فقالوا: يا رسول الله خُذْ لنا حقَّنا، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله من تصدَّق عليه»[1] فتصدَّق عليه ناس، وأبى آخرون، فخلعه رسول الله ﷺ من ماله، فاقتسموه بينهم، فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليس لكم إلَّا ذلك» فأرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال: «لعلَّ الله يجبرك ويؤدِّي عنك دَيْنك» فلم يزل باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ[2].

وهذا يدلنا على أن بلاء معاذ بن جبل في الدِّين وما ركبه من الدَّيْن هما سبب بِعْثة النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن، ولا ندري صحة ما نقله ابن حجر العسقلاني في الإصابة عن سيف[3] في

(١) أراد ﷺ بهذا من غرماء معاذ أن يُعفوا معاذاً من ديونهم ويسامحوه، وسمَّى هذا العمل صدقة لأن الله قال: ﴿ وإن كان ذو عُسْرةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ، وأنْ تَصَدَّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾.

(٢) أسد الغابة ٤/٣٧٢.

(٣) هو سيف بن عمر، ضُعِّف في الحديث، إلَّا أنَّه عمدة في التاريخ

الفتوح بسندٍ له عن عبيد بن صخر قال: قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إنِّي قد عرفت بلاءك في الدِّين، والذي قد ركبك من الدَّيْن، وقد طيَّبتُ لك الهدية، فإن أُهدي إليك شيءٌ فاقبل»[1].

الوصـــايا:

أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن بوصايا كثيرة تدلُّ على شدة اهتمام النبي ﷺ ببعثة معاذ، وتعدُّ هذه الوصايا منهجاً لكل داعية إلى الله، ولكل من يعمل في نشر دين الله في الأرض، كما تعدُّ دستوراً لكل حاكم يتولَّى شأناً من شؤون المسلمين، وقد تناول النبي ﷺ في هذه الوصايا أموراً كثيرة، مما يدلُّ على تشعُّب مهمة معاذ رضي الله عنه في اليمن.

- ففي مجال القضاء وفصل الخصومات بين الناس سأل رسول الله ﷺ معاذاً فقال: «بِمَ تقضي إن عرض لك قضاء»؟

(١) من المعرف أنَّ الهديَّة إلى الحاكم أو القاضي لا تجوز في الإسلام؛ فإن صحَّ الحديث فيكون خاصّاً بمعاذٍ رضي الله عنه.

قال معاذ: قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله»؟ قلت: أقضي بما قضى به الرسول ﷺ، قال: «فإن لم يكن بما قضى به الرسول» قلت: أجتهد رأيي ولا آلو[1]، فضرب صدري، وقال: «الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله ﷺ، لِمَا يرضي رسول الله»[2].

● وفي مجال الولاية العامة أوصاه ﷺ أن يهتم بالضُّعفاء في الأمة، فلا يحتجب عنهم، وعليه أن يسرع بقضاء حاجاتهم، فكان معاذ يحدِّث أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضَّعف والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة»[3].

● وفي مجال الدعوة إلى الله ونشر الإسلام بين الناس، أوصاه ﷺ أن ييسِّر على الناس ويرفق بهم ويتألَّفهم ولا ينفِّرهم، ففي الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري رضي

---

(١) أي لا أقصِّر.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، ٢٣٦/٥. قال ابن القيِّم: إسناده متصل ورجاله معروفون بالثقة، على أن أهل العلم قد نقلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم. انظر أعلام الموقعين ٢٠٢/١، وأخرجه أبو داود والترمذي.

(٣) رواه أحمد بإسناد جيد، والطبراني.

الله عنه أنَّ النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال:

«يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[1].

ولم يكتف ﷺ بهذا، بل فصَّل لمعاذ أسلوب التيسير في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، فقال ﷺ:

«إنَّك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتَّقِ دعوة المظلوم، فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

● وفي مجال الحرص على أموال الأمة والمحافظة عليها، حذَّره ﷺ أن يأخذ شيئاً من أموال الأمة لنفسه إذا لم يأذن له

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري.

رسول الله ﷺ به، فإن ذلك هو الغُلول الذي قال الله سبحانه بشأنه: ﴿ ومَنْ يَغْلُلْ يأتِ بما غلَّ يوم القيامة ﴾ فبعد أن ودَّع النبي ﷺ معاذاً وانطلق معاذ، أرسل إليه ﷺ، وقال لـه: «أتدري لِمَ بَعثتُ إليكَ؟ لا تُصيبنَّ شيئاً بغير إذني فإنه غُلول، ومن يَغْلُلْ يأتِ بما غلَّ يوم القيامة، لهذا دعوتك، فامضِ لعملك»[1].

● وفي مجال معيشته الخاصة، حذَّره النبي ﷺ من السَّرف والتَّرف، ومن العيش في التنعُّم، حتى لا يكون قدوة سيئة لغيره من الناس، قال معاذ رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ : «إياك والتنعُّم، فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعِّمين»[2].

وهكذا بيَّن ﷺ بهذه الوصايا النفيسة طريق الدعوة إلى الله، فكل من يدعو إلى الله لا بدَّ له من هذه الوصايا، يضعها في قلبه، ويجعلها دستوراً له في حياته وعمله، وإلَّا لم يكن داعياً إلى الله مهما زعم لنفسه ذلك، فليعرض كل داعية إلى الله نفسه على هذه الوصايا ليعرف مكانه من الدعوة، وعليه أن يلاحظ أنَّ النبي ﷺ لم يفصل في هذه الوصايا بين الدعوة

---

(١) رواه الترمذي في سننه وحسَّنه ١٢/٥.
(٢) رواه أحمد في المسند ٢٤٣/٥.

وسلوك الداعي وحياته وأخلاقه، وهذا يتَّضح أكثر في وصاياه ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عند الوداع.

الـوداع:

ودَّع رسول الله ﷺ معاذاً وداعاً مؤثِّراً، ودَّعه عليه الصلاة والسلام وهو يعلم أنَّ هذا الوداع هو الوداع الأخير، فلا لقاء بعده في الدنيا، وقد مرَّ معنا أنَّ النبي ﷺ كان يحب معاذاً محبة كبيرة، حتى إنَّه عليه الصلاة والسلام صرَّح لمعاذ بذلك عندما أخذ بيده وقال له:

«يا معاذ، والله إنِّي لأحبك».

فلنتصوَّر مدى تأثر النبيِّ ﷺ عند الوداع، مع ما في قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام من الرحمة والشفقة على عباد الله، فما حال قلبه الشريف ﷺ وهو يودِّع معاذ بن جبل الوداع الأخير؛ وكم تحمَّل ﷺ من أجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، في نفسه وفي فراق أصحابه وأحبابه؟!

أشهد يا رسول الله أنَّك بلَّغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت للأمة، وآثرت دعوة الله على نفسك وقلبك، فجزاك الله عن الإسلام ما أنت أهله.

ولما حان وقت الفراق والرحيل، قال النبي ﷺ لمعاذ:

«يا معاذ انطلق فأرحِلْ راحلتك ثم ائتني أبعثك إلى اليمن».

وانطلق معاذ رضي الله عنه، فرحَّل راحلته، وهيأ زاده وما يحتاجه في سفره، ثم جاء فوقف بباب المسجد حتى خرج رسول الله ﷺ، فأخذ بيده، ثم سار معه في الطريق وهو يقول:

«يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق، أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخَفْض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الايمان، والتفقُّه في القرآن، وحبِّ الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل وحسن العمل.

يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر، وأحدث مع كل ذنب توبة، السرُّ بالسرِّ، العلانية بالعلانية، وعُدِ المريض، وأسرع في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالس الفقراء والمساكين، وأنصف الناس من نفسك، وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم»[1].

وقال ﷺ أيضاً لمعاذ: «أخلص دينك يكفك العمل القليل»[2].

---

(١) حلية الأولياء ١/٢٤١.
(٢) أخرجه الترمذي في السنن ١/٢٤٤.

ودَّع معاذ رسول الله ﷺ، وركب راحلته، ولما وضع رجله في الغَرْز[1] قال ﷺ له: «أحسن خلقك مع الناس» فقد أخرج ابن سعد في كتاب الطبقات عن معاذ بن جبل قال: كان آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين جعلت رجلي في الغَرْز أنْ أحسن خلقك مع الناس[2].

ولم ينسَ معاذ رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله تعالى؟ فقال: «أن تصبح وتمسي ولسانك رطب من ذكر الله» أخرجه ابن النجار وابن شاهين وكان معاذ عند رواية الحديث يقول: آخر كلمة فارقت عليها رسول الله ﷺ أن قلت أخبرني يا رسول الله... الحديث.

ولما حانت لحظة الفراق سار معاذ ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، ثم قال له ﷺ: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري» عندئذ انفجرت دموع معاذ رضي الله عنه، وعرف أنه لن يرى بعد هذا الفراق رسول الله ﷺ، فقال ﷺ يواسيه ويخفِّف من حزنه ولوعته: «لا تبك يا معاذ، للبكاء أوان، البكاء من الشيطان» ثم التفت ﷺ نحو المدينة وقال: «إنَّ أولى الناس بي المتَّقون من

---

(١) موضع القدم عند ركوب الدابة.

(٢) الطبقات ٣/٥٨٥.

كانوا وحيث كانوا»[1]

انطلق معاذ نحو اليمن وهو يبكي، بينما كانت دعوات النبي ﷺ تشيِّعه: «حفظك الله من بين يديك ومن خلفك، وعن يـمينك وعن شمالك، ومن فوقك ومن تحتك، ودرأ عنك شرور الإنس والجن»[2].

هكذا كان الوداع: وصايا، ودموع، ودعاء، وفراق من غير أمل في اللقاء.

مهمة معاذ في اليمن:

اختلف العلماء في تحديد مهمة معاذ في اليمن، فهل بعثه ﷺ والياً أم قاضياً أم معلِّماً؟ قال ابن حجـر العسقلاني: واختُلف هل كان معاذ والياً، أم قاضياً، فجزم ابن عبدالبر بالثاني[3].

وذهب الطبري في تاريخه إلى أنَّ معاذاً بُعث إلى اليمن معلِّماً، فقال: وبُعث معاذ بن جبل معلِّماً لأهل البلدين: اليمن وحضرموت.

وقال الطبري أيضاً بعد أن تحدَّث عن الولاة الذين ولَّاهم

(١) مسند أحمد ٥/٢٣٥. والبداية والنهاية ٥/١٠٠.
(٢) انظر الإصابة ٣/٤٢٧.
(٣) فتح الباري ٣/٢٨٣.

النبي ﷺ على اليمن: وكان معاذ معلِّماً يتنقَّل في عَمَالة كل عامل باليمن وحضرموت.

إلَّا أنَّنا إذا تأملنا وصايا النبي ﷺ لمعاذ، وجدنا أنَّ مهمته كانت أوسع من التعليم، فقد كان أيضاً قاضياً، يتولَّى مهمة القضاء وفصل الخصومات بين الناس، دلَّ على ذلك سؤال النبي ﷺ لمعاذ: «بم تقضي» كما مرَّ معنا، وكذلك كان يتولَّى أمر جمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، دلَّ على ذلك قول النبي ﷺ له: «وإيَّاك وكرائم أموالهم» وفي كتاب النبي ﷺ لملوك حِمْيَر ما يدل على أن لمعاذ ولاية جمع الجزية ممَّن لم يدخل في الإسلام[1].

وأخرج ابن كثير في البداية والنهاية عن معاذ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، وأمرني أن آخذ من كل حالم ديناراً، أو عِدْله من المعافر[2]، وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرةٍ، بقرةً مسنَّةً، ومن كل ثلاثين بقرة تبيعاً حوليَّاً، وأمرني فيما سَقَتِ السماء العُشْر، وما سقي بالدوالي نصف العشر[3].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/٥٩٠.

(٢) المعافر: نوع من ثياب اليمن.

(٣) البداية والنهاية ٥/١٠١. والحديث رواه أبو داود والنسائي.

وهذا يدلنا على أنَّ مهمة معاذ بن جبل في اليمن كانت شاملة لشؤون الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام، وتعليم الناس مبادىء دينهم الجديد، وتعليمهم قراءة القرآن، وفصل الخصومات بينهم، وجمع الزكاة، وأخذ الجزية.

قال ابن كثير: والمقصود أنَّ معاذاً رضي الله عنه كان قاضياً للنبي ﷺ باليمن، وحاكماً في الحروب ومُصَدِّقاً، إليه تدفع الصدقات، كما دلَّ عليه حديث ابن عباس المتقدِّم، وقد كان بارزاً للناس يصلِّي بهم الصلوات الخمس كما قال البخاري: حدَّثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبَير، عن عمرو بن ميمون: أنَّ معاذاً لما قدم اليمن صلَّى بهم الصبح فقرأ: «واتَّخذ الله إبراهيمَ خليلاً» فقال رجل من القوم: لقد قرَّت عين إبراهيم[1].

معاذ في اليمن:

ذهب معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه إلى اليمن، ونزل في مدينة الجَنَد، تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، فقد روي عن

---

(١) البداية والنهاية ٥/١٠٣.

معاذ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «لعلك أن تمر بقبري ومسجدي، فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم، يقاتلون على الحقِّ مرَّتين، فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك، ثم يفيئون إلى الإسلام، حتى تبادر المرأة زوجها، والولد والده، والأخ أخاه، فانزل بين الحَيَّيْن السَّكُون والسَّكاسِك» والسكون والسكاسك حيَّان من القبيلة العربية المشهورة «كِندة» التي كانت منازلها تمتد ما بين اليمن وحضرموت. والجَنَد من أرض سكاسك، وبينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً، اشتهرت الجَنَد بعد نزول معاذ بن جبل فيها، وأصبحت من أكبر المراكز الدينية والعلمية في اليمن.

اتخذ معاذ الجند مركز نشاطه وعمله في اليمن، وأسَّس فيها مسجداً سمِّي بعد ذلك باسمه، ولا يزال فيها حتى اليوم، وقد اشتهر بمنارته الأثريَّة الرائعة الجميلة، ويبدو أن هذا المسجد كان بسيطاً جدًّاً عندما بناه معاذ رضي الله عنه، يشبه مسجد النبي ﷺ عندما بناه ﷺ. أخرج أبو نُعَيم الأصفهاني عن طاووس اليماني أنه قال: قدم معاذ بن جبل أرضنا، فقال له أشياخ لنا: لو أمرت ننقل لك من هذه الحجارة والخشب، فنبني لك مسجداً، فقال: إنِّي أخاف أن أكلَّف حمله يوم القيامة

على ظهري[١]. وانطلق معاذ رضي الله تعالى عنه من هذا المسجد يدعو إلى الله، وينشر الإسلام في اليمن، يقرئهم القرآن، ويفقههم في الدين.

ولم يقتصر في نشاطه على الجَنَد ومخاليفها، إنما امتد نشاطه وعمله إلى كل أرجاء اليمن وإلى حضرموت، وكان يذهب إلى أبي موسى الأشعري الذي أرسله النبي ﷺ إلى صنعاء ومخاليفها، ففي صحيح البخاري وصْفٌ لإحدى زيارات معاذ لأبي موسى رضي الله عنهما، روى البخاري عن أبي بُرْدة بن أبي موسى الأشعري قال: بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف قال: واليمن مخلافان، ثم قال: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا» وفي رواية: «وتطاوعا ولا تختلفا» وانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه، وكان قريباً من صاحبه، أحدث به عهداً فسلَّم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه، وإذا رجل عنده، قد جُمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبدالله بن قيس

---

(١) حلية الأولياء.

أيم[1] هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل ، قال: إنما جيء به لذلك فانزل، قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل، فقال: يا عبدالله كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوَّقه تفوُّقاً[2]، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قَوْمتي[3].

ومرَّ معنا ما ذكره الطبري في تاريخه: وكان معاذ معلِّماً يتنقل في عَمَالة كل عامل باليمن، وكلما أتى قوماً رفع صوته مكبِّراً ليجتمعوا إليه، فإذا اجتمعوا إليه عرَّفهم بنفسه بأنه رسولُ رسولِ الله ﷺ إليهم، قال عمرو بن ميمون الأودي: قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسولُ رسولِ الله ﷺ من السَّحر رافعاً صوته بالتكبير، أجشَّ الصوت... فقام فينا خطيباً فقال: يا بني أَوَد إنِّي رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم، تعلمنَّ أنَّ المعاد إلى الله تعالى، ثم إلى الجنة أو إلى النار[4].

---

(١) عبدالله بن قيس اسم أبي موسى الأشعري، أيم معناها: ما.

(٢) أي أقرؤه شيئاً بعد شيء في آناء الليل والنهار لا مرةً واحدة.

(٣) صحيح البخاري.

(٤) انظر الحلية، ١/٢٣٦. والمسند، ٥/٢٣١.

الفتنـة:

لم تمضِ الأمور في اليمن كما كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يتمنَّى، فقد حدثت فتنة كبيرة في اليمن، ابتُلي بها عامة الناس هناك فارتدَّ كثير منهم عن الإسلام، كانت هذه الفتنة أشبه بعاصفة قوية أو إعصار مدمِّر هبَّ على اليمن بقوة، فاجتاحها من أقصاها إلى أقصاها، حدث هـذا قبل وفـاة النبي ﷺ ببضعة أشهر، وتمكَّن الثابتون على الإسلام من أهل اليمن، وفي مقدِّمتهم معاذ بن جبل وتلاميذه من مواجهة هذا الإعصار المدمِّر والقضاء على الفتنة، فلم تدم سوى ثلاثة أو أربعة أشهر.

الأسود العنسي:

كان يقيم في كهف جبلي قرب بلدة «خَبَّان» رجل يدَّعي الكَهَانة ومعرفة الغيب، اسمه «عَبْهلة بن كعب العنسي» نسبة إلى عَنَس، أحد بطون قبيلة مَذْحج اليمنية، وهي قبيلة كانت تنزل بين اليمن ونجران، وكان يقال له، ذو الخمار، لأنه كان يخمِّر وجهه بخمار فلا يظهره للناس، وكان كاهناً شِعباذاً، يمارس السحر والشعوذة، فيُري أتباعه منه الأعاجيب، كما كان له فصاحة في لسانه ومنطق في كلامه، فيسبي قلوب من يسمعه

بمنطقه ويسحرهم ببيانه، ويعتمد أيضاً على قرناء له من الشياطين، يساعدونه في خداع الناس.

ولما انتشر الإسلام في اليمن أعرض الناس عنه، لأن الإسلام يحرم الكَهَانة والسحر وادِّعاء معرفة الغيب، قال رسول الله ﷺ:

«من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلةً»[1].

وعندما رأى الأسود العنسي إعراض الناس عنه، ادّعى لنفسه صفة النبوَّة، ليجمع الناس إليه، واستعان بسحره وشعوذته وقرنائه من الشياطين، ليوهم السذَّج والبسطاء من عامة الناس بصدق دعوته؛ حتى تمكَّن أن يجمع حوله عوام قبيلة مَذْحَج، فوثب بهم على نجران فأخضعها لسلطانه، واضطر فروة بن مُسَيك عامل النبي ﷺ على نجران إلى الانحياز مع من ثبت معه من المسلمين إلى الأحسية، ثم انطلق الأسود إلى صنعاء، فتمكَّن منها وقتل عامل النبي ﷺ عليها، وهو «شَهْر بن باذام» وتزوج امرأته، وافتتن الناس به، فتبعه العوام منهم، واستفحل أمره في اليمن كلِّها.

---

(١) صحيح مسلم.

الانسحاب:

اضطر معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أن ينحاز إلى جهة حضرموت، حتى يهدأ إعصار الفتنة المدمِّر الذي اجتاح كل اليمن، وفعل عمّال النبي ﷺ الآخرون مثل ما فعل معاذ، فقد انسحبوا من وجه العاصفة إلى أماكن آمنة وحصينة، ينتظرون أوامر النبي ﷺ وتوجيهاته لهم لمواجهة فتنة الأسود.

ونزل معاذ رضي الله عنه على السَّكون، وكان قد تزوج منهم امرأة من بني بكرة، وهم حيٌّ من السَّكون، يقال لها: «رَمْلة» فحدبوا عليه وعلى من معه، حتى كان معاذ يقرُّ بفضلهم وثباتهم في هذه المحنة، ويدعو في صلاته للسَّكون فيقول: (اللَّهمَّ ابعثني يوم القيامة مع السَّكون، اللَّهمَّ اغفر للسَّكون)[١]. أما أبو موسى الأشعري فقد لحق بحضرموت أيضاً، ولكنه نزل في السَّكاسك.

رؤيا النبي ﷺ:

علم النبي ﷺ بما حدث في اليمن بواسطة الوحي قبل أن تصله الأخبار بواسطة الناس، ورأى ﷺ في منامه رؤيا تحدَّث

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/٢٣١.

عنها ﷺ فقال: «بينما أنا نائم أُتيت خزائن الأرض، فوُضع في يدي أسوارَيْن من ذهب، فَكَبُرَا عليَّ وأهمَّاني، فأُوحي إليَّ أن انفخهما، فنفختُهما فذهبا، فأوَّلتهما الكذَّابين اللَّذيْن أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة»[1].

والأسود العنسي هو صاحب صنعاء، ومُسَيلِمة الكذَّاب هو صاحب اليمامة.

قضى رسول الله ﷺ على فتنة الأسود العنسي بواسطة الرسائل التي أرسلها إلى اليمن، إذ بعث ﷺ مع رجل اسمه «وَبَر بن يُحَنَّس الديلمي» كتاباً يأمر المسلمين الذين في اليمن بمقاتلة الأسود العنسي ومصاولته، وقام معاذ بن جبل رضي الله عنه بهذا الكتاب أتمَّ قيام، وساعده تلاميذه وأنصاره من السَّكون، فبلَّغوا كتاب النبي ﷺ إلى عمّال النبي ﷺ ومن قدروا عليه من الناس، فنشط المسلمون لهذا، وعرفوا القوة ووثقوا بالنصر، حتى وصل كتاب النبي ﷺ إلى بعض أمراء جند الأسود، مثل فيروز الديلمي وقيس بن مكشوح فاتفقوا مع المسلمين على الفتك بالأسود.

وكانت خطة المسلمين للقضاء على الأسود العنسي

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

تقتضي الاتصال سرّاً بكبارِ قادة جيشه ومساعديه لتأليبهم عليه، وتخذيلهم عنه، ثم المبادرة بعد ذلك إلى قتله والتخلص منه عندما تسنح الفرصة بذلك[1].

---

(١) هذه أفضل طريقة لمقاومة الظالمين والمستبدين والمتسلِّطين أمثال الأسود العنسي، وأمّا ما يفعله بعض قصار النظر من المتهوِّرين، بقتل بعض أعوان الظالمين، فخطأ فادح، يؤدِّي إلى تنبيه الظالمين، فيتحرزون ويحتاطون ويجنِّدون بما لديهم من أموال وقوة وسلطان، كثيراً من الأعوان والجنود، ويزدادون ظلماً وعسفاً، وينتقمون من الأبرياء بقتلهم أو سجنهم وتعذيبهم.

ومن المعلوم المقرَّر شرعاً أن المنكر لا يغيّر إذا كان تغييره سيؤدِّي إلى منكر أكبر، وإذا كان قتل أعوان الظلمة سيؤدِّي إلى قتل الظالمين للمسلمين وانتهاكهم لأموالهم وأعراضهم، فلا يجوز في مثل هذه الحالة التعرض لهم تحرزاً عن المنكر الأكبر، وصيانةً لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم. وحرماتُ المسلمين لها شأن عظيم عند الله، فكما لا يجوز التعرُّض لها وانتهاكها، لا يجوز أيضاً التسبُّب في انتهاكها، وقد أُمر النبي ﷺ عندما كان مع أصحابه محرماً بالعمرة في الحديبية بمهادنة المشركين ومصالحتهم، ومُنع من قتالهم من أجل المحافظة على حرمات بعض المسلمين الضعفاء الذين كانوا يعيشون بمكة ولم يتمكنوا من الهجرة بسبب ضعفهم، وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿ هم الذين كفروا وصدُّوكم عن المسجد الحرام والهَدْيَ مَعْكوفاً أنْ يبلغَ محلَّه، ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبَكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذَّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴾ (الفتح: ٢٥).

الفرس الأبناء:

كانت اليمن يحكمها ملوك من حِمْير يُسَمَّون التبابعة، ثم احتل الأحباش اليمن وأخضعوها لسلطانهم، ولما أهلك الله «أبرهة الحبشي» مع جيشه عندما أراد هدم الكعبة المشرَّفة في حادثة الفيل المشهورة، ثار «سيف بن ذي يزن الحميري» واستعان بكسرى ملك الفرس، فبعث معه كسرى ممَّن كان عنده بالسجون جيشاً بقيادة رجل اسمه «وهرز»، وتمكن سَيْفُ بهذا الجيش أن يقضي على جيش الأحباش واستنقاذ مُلك اليمن من الحبشة.

وبقي الفرس في صنعاء حاكمين لها حتى بُعث رسول الله ﷺ، ولما أرسل ﷺ بالكتب إلى الأمراء والملوك يدعوهم إلى الإسلام، أرسل كتاباً إلى كسرى ملك الفرس، ولما وصل الكتاب إلى كسرى غضب غضباً شديداً ومزَّق كتاب النبي ﷺ، وكتب إلى عامله الفارسي في صنعاء، وكان اسمه «باذام»: أمّا بعد، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث مِنْ قِبَلك أميرَين إلى هذا الرجل الذي بجزيرة العرب، الذي يزعم أنَّه نبي، فابعثه إليَّ في جامعة[1].

---

(١) الجامعة: قيد من حديد يَجمع يديه إلى بعضهما.

وبعث باذام من عنده أميرين عاقلين، وقال لهما: اذهبا إلى هذا الرجل، فإن كان كاذباً فخذاه في جامعة حتى تذهبا به إلى كسرى. وإن كان غير ذلك فارجعا إليَّ فأخبراني ما هو حتى أنظر في أمره.

ولما دخلا على النبي ﷺ أخذا يرتجفان من هيبته عليه الصلاة والسلام، وقال لهما: «ارجعا إلى صاحبكما فأخبراه أنَّ ربي قد قتل الليلة ربَّه» فأرَّخا ذلك عندهما ثم رجعا سريعاً إلى اليمن فأخبرا باذام بما قال لهما، فجاءت الكتب من عند ملكهم أنَّه قد قتل كسرى في ليلة كذا وكذا، لتلك الليلة التي ذكرها ﷺ، فأسلم باذام وقومه من أبناء فارس ممَّن كان في اليمن، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، فأقرَّه النبي عليه الصلاة والسلام على صنعاء، ولمّا مات، استناب ابنه «شهر بن باذام»[1] وهو الذي خرج عليه الأسود وقتله وتزوج زوجته.

وقد كان للفرس الأبناء هؤلاء دور كبير في قتل الأسود والقضاء على فتنته في اليمن، فقد اتفقوا مع زوجته على قتله، ودخلوا إلى قصره ليلاً بمساعدتها وقتلوه وهو نائم، وفي الصباح

---

(١) انظر البداية والنهاية ٦/٣٠٦.

وقف أحدهم على سور القصر ونادى قائلاً أشهد أنَّ محمداً رسول الله وأن «عبهلة» كذاب، وألقى رأسه، فانهزم أتباع الأسود وتبعهم المسلمون يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نُوّاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، واتَّفقوا على أن يصلِّي معاذ بن جبل بالناس في صنعاء، وكتبوا بالخبر إلى النبي ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته، فقد قال ﷺ عندما أصبح: «قُتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»[1] وقد دام ملكه من ظهوره إلى أن قتل ثلاثة أشهر، وقيل أربعة. وبعد قتله بثلاثة أيام توفي رسول الله ﷺ.

العودة من اليمن:

اضطربت الأحوال في اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ، واضطر معاذ إلى مغادرة اليمن، فغادرها وعاد إلى الحجاز، ووصل إلى مكة في موسم الحج للعام الحادي عشر من الهجرة، وكان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد عيَّن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميراً للحج في هذا العام، فلقيه معاذ

---

(١) البداية والنهاية ٦/ ٣١٠.

يوم التروية بمنى، فاعتنقا طويلاً وعزَّى كل واحد منهما صاحبه برسول الله ﷺ، ثم أخلدا إلى الأرض يتحدَّثان، ويستعيدان ذكرياتهما مع رسول الله ﷺ.

وبعد انتهاء موسم الحج عاد معاذ إلى المدينة المنوَّرة، وبادر عند وصوله إلى زيارة الحجرة النبويَّة الشريفة حيث دفن ﷺ، فسلَّم على النبيِّ ﷺ، وتذكَّر رضي الله عنه كلمات رسول الله ﷺ له عند الوداع: «إنَّك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي وقبري...» ففاضت دموعه وأجهش بالبكاء.

وكان رضي الله عنه يمضي أكثر وقته في المسجد قرب الحجرة النبويّة، وكثيراً ما رؤي وهو يبكي، فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد، فوجد معاذاً عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال:

«اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إنَّ الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح

الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة[1]»[2].

وظل رضي الله عنه في المدينة على هذه الحال حتى استأذن أبا بكر في الخروج للجهاد في بلاد الشام. كما مرَّ معنا.

(١) أي يخرجون من الفتن المظلمة دون أن تصيبهم بشيء من شرها.
(٢) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم صحيح، ولا علة له. انظر الترغيب والترهيب ١/٤٨.



الفصل الثالث

مَنَاقِبُ مُعَاذِ بْنِ جَبَل

تمهيد ـ علمه ـ منهجه العلمي ـ من مرويات معاذ ـ تلاميذه ـ عبادته ـ كرمه وزهده.



مَنَاقِبُ مُعَاذِبْنِ جَبَلٍ

تمهيد:

مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه كثيرة جداً كما قال ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، فهو من كبار الصحابة علماً وعملاً وجهاداً، وله ـ كما أسلفنا ـ مكانة كبيرة عند رسول الله ﷺ، وسأكتفي بالحديث عن ثلاث مناقب من مناقبه رضي الله عنه، وهي: علمه ـ عبادته ـ كرمه.

علمه

العلم أعظم مناقب معاذ بن جبل وأبرزها في حياته، وبالعلم اشتُهر رضي الله عنه، ووصل إلى المكانة الرفيعة عند رسول الله ﷺ، وقد أثنى عليه النبي ﷺ وشهد له بالعلم والفهم والتمييز بين الحلال والحرام في الإسلام. ففي سنن الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله تعالى عمر،

وأشدُّهم حياءً عثمان، وأقضاهم علـيٌّ، وأعلمهم بالحـلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم[1] زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبيٌّ بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وما أظلَّت الخَضْراء[2]، ولا أقلَّت الغَبْراءُ[3] أصدقَ لهجةً من أبي ذرٍّ، أَشْبهَ عيسى عليه السلام في ورعه» فقال عمر رضي الله عنه: أنعرف ذلك له؟ قال: «نعم، فاعرفوه له». رضي الله عنهم أجمعين[4].

وقد جمع معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الفهم والفقه والحفظ، إذ هو من كبار حفّاظ القرآن الكـريم حتى عدَّه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أحد الأربعة الذين اشتهروا في عهد رسول الله ﷺ بحفظ القرآن الكريم فقال: (جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ، كلُّهم من الأنصار، أبيٌّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي)[5].

---

(١) أكثرهم علماً بالمواريث.

(٢) الخضراء: السماء.

(٣) الغبراء: الأرض.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن وأحمد في المسند.

(٥) أخرجه الشيخان والنسائي والترمذي واللفظ له.

وقد أوصى رسول الله ﷺ الناس أن يأخذوا القرآن من أربعة من أصحابه، أحدهم معاذ، ممَّا يدلُّ على ثقة النبي ﷺ بحفظ معاذ وحسن تلقِّيه للقرآن الكريم، فقال ﷺ: «خذوا القرآن عن أربعة: عن عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأُبَيِّ بن كعب»[1].

وبسبب المكانة العلميّة الرفيعة التي بلغها معاذ كان رسول الله ﷺ يكلفه بالمهمَّات العلميّة الكبيرة، فبعد فتح مكة استخلفه الرسول ﷺ في مكة ليعلِّم أهلها القرآن الكريم ويفقههم في الدين، ثم أرسله كما مرَّ معنا إلى اليمن. كما كان ﷺ يأمر الصحابة أن يقتدوا بمعاذ، ويصنعوا مثل صنيعه. فقد أخرج الإمام أحمد عن معاذ أنه قال: كان الناس على عهد رسول الله ﷺ إذا سُبق الرجل ببعض صلاته، سألهم فأومأوا إليه بالذي سُبق به من الصلاة، فيبدأ فيقضي ما سُبق، ثم يدخل مع القوم في صلاتهم، فجاء معاذ بن جبل، والقوم قُعود في صلاتهم، فقعد، فلما فرغ رسول الله ﷺ قام فقضى ما كان سُبق به فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كما صنع معاذ»[2].

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) المسند ٥/٢٣٣.

واشتهر معاذ بأنه كان يفتي الناس في عهد رسول الله ﷺ، ومن يجرؤ على الفتيا في عهد النبي ﷺ إلَّا رجلاً بلغ منزلة علمية رفيعة؛ فقد كان الذين يفتون في عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين: عمر، وعثمان، وعلي. وثلاثة من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت[١]. قال كعب بن مالك: كان معاذ بن جبل يفتي الناس في المدينة في حياة النبي ﷺ وأبي بكر[٢].

ولَمَّا أذن أبو بكر لمعاذ في الخروج إلى الجهاد في بلاد الشام ـ كما مر معنا ـ قال عمر بن الخطاب: لقد أخلَّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كنتُ كلمتُ أبا بكر رحمه الله أن يحبسه لحاجة الناس إليه فأبى عليَّ[٣].

فخروج معاذ رضي الله عنه من المدينة المنوَّرة إلى بلاد الشام يحدث فراغاً علمياً في رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والمدينة وقتئذ هي عاصمة الإسلام، وفيها كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) انظر أسد الغابة.

(٢) منتخب كنز العمال.

(٣) انظر صفحة ٣٣ من هذا الكتاب.

ومن القضايا التي ظهر فيه فقهُ معاذ وبُعْدُ نظره، قضية المرأة التي غاب عنها زوجِها سنتين، ثم جاء زوجها وهي حامل، فرفعها إلى عمر، فأمر برجمها، فقال له معاذ: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها، فقال عمر: احبسوها حتى تضع، فوضعت غلاماً، فلما رآه أبوه عرف الشبه به، فقال: ابني، ابني وربِّ الكعبة، فبلغ ذلك عمر فقال: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر[1].

وإذا كانت مكانة معاذ العلمية في المدينة المنوَّرة وبين كبار الصحابة هكذا، فكيف كانت مكانته العلمية في بلاد الشام؟!

هذا أبو مسلم الخَوْلاني التابعيُّ الجليل يحدِّث عمَّا رأى لمعاذ من مكانة علمية كبيرة في بلاد الشام، فيقول: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحوٌ من ثلاثين كَهْلاً من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، برّاق الثنايا[2]، ساكت لا يتكلم، فإذا امترى[3] القوم في شيء، أقبلوا عليه فسألوه، فقلتُ لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل[4].

---

(١) انظر منتخب كنز العمال.

(٢) الثنايا: الأسنان.

(٣) امترى القوم: اختلفوا.

(٤) الطبقات ٣/٥٩٠.

وروي عن شَهْر بن حَوْشَب قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا تحدَّثوا ـ وفيهم معاذ ـ نظروا إليه هيبةً له[1].

فمعاذ إذن كان المرجع العلمي للصحابة في بلاد الشام، كما كان في المدينة المنورة.

ويكفي معاذ بن جبل شرفاً أن عمر بن الخطاب لما طُعن بخنجر أبي لؤلؤة المجوسي، وشعر بدنو أجله قال: لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فسألني ربي عنه لقلت: يا ربي سمعت نبيِّك يقول: إن العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة كان معاذ بن جبل بين أيديهم قذفة حجر[2]. وعندما أتى عمر إلى بلاد الشام وخطب في الجابية قال: من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأتِ زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل[3].

منهجه العلمي:

وضع معاذ بن جبل رضي الله عنه لنفسه أسساً علمية

---

(١) انظر كتاب صفة الصفوة ١/٤٩٥.
(٢) الطبقات ٣/٥٩٠.
(٣) أعلام الموقعين ١/٢١.

التزم بها وأوصى بها تلاميذه، وتعدُّ هذه الأسس بحقٍّ ولا تزال أهم قواعد أصول الفقه، وقد التزم بها جميع أئمة الاجتهاد فيما بعد.

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأحكام الشرعية، فإن لم يكن الحكم موجوداً في القرآن الكريم، ففي المصدر الثاني وهو السنّة الشريفة، فهما المصدران الأساسيان للأحكام الشرعية، ثم يأتي بعدهما دور الاجتهاد، وهو بذل الوسع والجهد لاستخراج الحكم الشرعي. ولا يقوم بالاجتهاد إلّا من كان أهلاً له، ولا شك أن معاذ بن جبل كان أهلاً للاجتهاد لأنَّ النبي ﷺ أقرَّ له بذلك، كما مر معنا في الحديث الشريف عندما سأله ﷺ: «بِمَ تقضي إن عرض لك قضاء»؟ قال معاذ: أقضي بما في كتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله»؟ قال: أقضي بما قضى به الرسول ﷺ، قال: «فإن لم يكن بما قضى به الرسول»؟ قال: أجتهد رأي ولا آلو.

فضرب رسول الله ﷺ صدر معاذ وقال:

«الحمدلله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله»[1].

---

(١) انظر تخريج الحديث في الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب.

والاجتهاد عند معاذ ليس مجرد الأخذ بالرأي، فقد كان رضي الله عنه يذمُّ الأخذ بمجرد الرأي ويراه بدعة وضلالة ويحذِّر تلاميذه منه إذا كان فيه مخالفة لكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، ولهذا قال معاذ لتلاميذه: (إنَّ العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، ومن اتَّبعهما وجدهما: الكتاب والسنّة، فاعرضوا على الكتاب والسنّة كلَّ كلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام)[1]. وقال أيضاً: (تكون فتن فيكثر فيها المال، ويفتح القرآن، حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير، والمنافق والمؤمن، فيقرأه الرجل فلا يُتَّبع، فيقول: والله لأقرأنَّه علانيةً، فيقرأه علانية فلا يُتَّبعُ، فيتخذ مسجداً، ويبتدع كلاماً ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، فإيَّاكم وإيَّاه فإنَّه بدعة وضلالة) قاله معاذ ثلاث مرات[2].

من مرويات معاذ:

يعد معاذ بن جبل رضي الله عنه من الصحابة المقلين في الرواية عن رسول الله ﷺ رغم غزارة علمه ومكانته من رسول الله ﷺ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى قصر عمره ووفاته بعد النبي ﷺ ببضع سنوات أمضىٰ معظمها في ميادين الجهاد

---

(١) منتخب كنز العمال ومسند أحمد.

(٢) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ١/ ٦٠.

في سبيل الله كما مر معنا، وقد مر معنا خلال الحديث عن حياته رضي الله عنه بعض الأحاديث الشريفة التي رواها عن النبي ﷺ، وإلى القارىء الكريم عدداً آخر من الأحاديث التي رواها رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

١ ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «بشر الناس أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» فقال: إني أخشىٰ أن يتكلوا عليها، قال: «فلا».

أخرجه أبو نعيم في الحلية وأبو يعلىٰ في مسنده.

٢ ـ عن معاذ بن جبل قال: مر رسول الله ﷺ على رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك الصبر، فقال رسول الله ﷺ: «سألت الله البلاء فاسأله المعافاة» ومر على رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال: «يا ابن آدم وهل تدري ما تمام النعمة؟» قال: يا رسول الله دعوة دعوت بها رجاء الخير، قال: «فإن من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار» ومر على رجل وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: «قد استجيب لك فاسأل».

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

٣ ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما غضباً شديداً حتىٰ إني ليخيل إليّ أن أنفه يتمزع، فقال رسول الله ﷺ «إني لأعرف

كلمة لو قالها هذا الغضبان لذهب غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

٤ ـ عن معاذ رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ مما سقت السماء أو سَقي بعلاً العشر، ومما سقي بالدوالي نصف العشر.

رواه ابن جرير الطبري وصححه.

٥ ـ عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله عبداً سمع كلامي ثم لم يزد فيه، رب حامل كلمة إلى من هو أوعى لها منه، ثلاث لا يَغل عليهن قلب مؤمن: الإخلاص لله، والمناصحة لولاة الأمر، والاعتصام بجماعة المسلمين؛ فإن دعوتهم تحيط من وراءهم».

رواه ابن عساكر.

٦ ـ ومن أقضيته رضي الله عنه في اليمن أنه قضىٰ في بنت وأخت فجعل للبنت النصف وللأخت النصف.

أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.

٧ ـ وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث: رجل قرأ كتاب الله تعالى حتىٰ إذا رؤيت عليه بهجته وكان عليه رداء الإسلام أعاره الله إياه اخترط سيفه فضرب به جاره ورماه بالشرك، قيل: يا رسول الله الرامي أحق به أو المرمي؟ قال: الرامي، ورجل آتاه

الله سلطاناً فقال: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصىٰ الله، وكذب ليس بخليفة أن يكون جُنةٌ دون الخالق، ورجل استخفته الأحاديث كلما قطع أحدوثة حدث بأطول منها، إن يدرك الدجال يتبعه».

أخرجه الطبراني في الكبير.

٨ ـ عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

٩ ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى: «حقت محبتي على المتحابين فيّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ، هم على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء والصديقون».

رواه مالك بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

١٠ ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً مُرْداً مُكحَّلين بني ثلاث وثلاثين».

أخرجه الترمذي وحسنه.

تلاميذ معاذ:

انتشر علم معاذ بن جبل رضي الله عنه في كل مكان حلَّ فيه، ولهذا فقد انتشر في الحجاز واليمن وبلاد الشام، وكان لمعاذ تلاميذ في كل بلد نزل فيه. إلَّا أنَّ معاذ بن جبل لم يعش طويلاً بعد رسول الله ﷺ، إذ توفي بعده بثماني سنوات ـ كما مر معنا ـ ولهذا لا يعدُّ رضي الله عنه في الصحابة المكثرين في الرواية والفتوى، فقد عدّه ابن قيِّم الجوزية في كتابه «أعلام الموقعين» في الصحابة المتوسطين في الفتيا، ولا بدَّ أن يكون تلاميذ معاذ أيضاً الذي روَوا عنه وتعلَّموا منه قليلي العدد، فلم يعرف لمعاذ عدد كبير من التلاميذ، إلَّا أنهم اشتهروا بالعلم والدين. قال ابن قيِّم الجوزية: وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحلِّ الذي لا يخفى، ولا يعرف في أصحابه متَّهمٌ ولا كذَّاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، ولا يشكُّ أهل العلم بالنقل في ذلك[1].

وكان تلاميذ معاذ يحبُّونه محبة شديدة، حتى إنَّ بعضهم تعلَّق به وأحبَّه أول ما رآه، فثَمَّةَ جوانب متعددة في شخصية

---

(١) أعلام الموقعين ١/٢٠٢.

معاذ كانت تجذب تلاميذه إليه، وتجعلهم يودُّونه ويلازمونه حضراً وسفراً ويهجرون من أجله أهلهم وأوطانهم.

فهذا عمرو بن ميمون الأودي يتحدَّث كيف أحب معاذاً ولازمه حتى وفاته رضي الله عنه، فيقول: قدم علينا معاذ ابن جبل اليمن رسولَ رسولِ الله ﷺ من السَّحر رافعاً صوته بالتكبير، أجشَّ الصوت، فأُلقيت عليه محبتي، فما فارقته حتى حَثَوْت عليه التراب بالشام ميتاً، رحمه الله[1].

ولما رأى أبو مسلم الخَوْلاني معاذ بن جبل في مسجد حمص ورأى هيبته وجماله ومكانته العلمية بين الصحابة؛ تحدَّث عن ذلك كما مر معنا في بحث مكانته العلمية في بلاد الشام، ثم قال: فوقع حبُّه في قلبي[2].

وكان رضي الله عنه يبادل تلاميذه حبّاً بحبٍّ، ويصارحهم بحبِّه لهم كما صارحه النبي ﷺ بمحبته له، فقد مرَّ معنا في بحث مكانته عند رسول الله ﷺ، أنه عليه الصلاة والسلام، أخذ بيده وقال له: «يا معاذ، والله إنِّي لأحبُّك» فقال معاذ: بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله وأنا أحبُّك، فقال ﷺ: «لا تدعنَّ

(١) المسند ٥/ ٢٣١.

(٢) المسند ٥/ ٢٣٩.

في دُبُر كل صلاة أن تقول: اللَّهمَّ أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك» وأخذ معاذ بيد تلميذه عبدالرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحي وقال له: إنِّي أحبُّك. لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللَّهمَّ أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك[1].

وقد مر معنا أنَّ معاذ بن جبل توفي في ذروة شبابه، وقد نضج علماً وحلماً وحالاً، ولهذا كان تلاميذه أعظم الناس مصاباً بموته رضي الله عنه، جلسوا حوله يبكون لما حضرته الوفاة، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نبكي على العلم الذي ينقطع عنا عند موتك، فقال رضي الله عنه: إنَّ العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، ومن اتبعهما وجدهما: الكتاب والسنّة، فاعرضوا على الكتاب والسنّة كل كلام ولا تعرضوهما على شيء من الكلام، وابتغوا العلم عند عمر وعثمان وعليّ، فإن فقدتموهم، فابتغوه عند أربعة: عويمر[2]، وابن مسعود، وسلمان، وابن سَلَام، الذي كان يهودياً فأسلم، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هو عاشر عشرة في الجنة»، واتَّقوا زلَّة

---

(١) انظر المسند والحلية. والجدير بالذكر أن هذا الحديث قد امتدت سلسلة سنده إلى سيدي الشيخ محمد الحامد رحمه الله، وكان كل شيخ يأخذ بيد تلميذه ويقول له كما قال ﷺ لمعاذ.

(٢) هو أبو الدرداء رضي الله عنه.

العالِم، خذوا الحقَّ ممَّن جاء به، وردُّوا الباطل على من جاء به كائناً مَن كان[1].

بهذه الوصية النفيسة ودَّع معاذ تلاميذه قبل الموت، ورسم لهم فيها أصول المنهج العلمي الذي ينبغي عليهم أن يتمسَّكوا به ويسيروا على هديه.

وكان له رضي الله عنه تلاميذ في كل بلد نزل فيه، ومن تلاميذه غير من تقدم ذكرهم عبدالله بن مالك بن أبي الأسحم أبو تميم الجيشاني، الذي نزل مصر، وأصله من اليمن، وكان قد قرأ القرآن على معاذ في اليمن[2]. ومن تلاميذه أيضاً: عاصم بن حُمَيد السَّكوني، وأبو بحرية السَّكوني، ومالك بن يخامر، ومسروق، والأسود بن يزيد، والأسود بن هلال، وأبو وائل، وقيس بن أبي حازم، ويزيد بن عميرة، وقد خرج من مدينة الجَنَد طاووس اليماني الجَنَدي، وذكروا أنه روى بعض الأحاديث المرسلة عن معاذ، كما أنَّ رجاء بن حَيْوة سيِّد علماء الشام أرسل أيضاً بعض الأحاديث عن معاذ[3].

(١) انظر منتخب كنز العمال ومسند أحمد.
(٢) انظر كتاب تهذيب التهذيب.
(٣) انظر تهذيب التهذيب.

كما أنَّ عدداً من الصحابة روَوْا عنه، منهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن سمرة، وجابر، وأنس، وأبو قتادة، وأبو أمامة الباهلي، وعبد الله بن عمرو، وأبو ليلى الأنصاري، وآخرون من كبار التابعين[1].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة وأسد الغابة.

أشهر تلاميذه
عمرو بن ميمون الأوَدي

هو عمرو بن ميمون الأودي، نسبة إلىٰ أوَد المتفرعة من قبيلة مذحج، قال ابن سعد في الطبقات: أود بن صعب بن سعد العشيرة من مذحج.

ومر معنا أن مذحج إحدى قبائل اليمن الكبرىٰ وكانت منازلها تمتد من نجران إلى اليمن. أدرك عمرو بن ميمون رحمه الله الجاهلية والإسلام، فهو من المخضرمين، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه، فهو معدود في التابعين، لكن ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب عده من الصحابة، وقال: أدرك النبي ﷺ وصدق به وكان مسلماً في حياته، إلا أن ابن حبان ذكره في ثقات التابعين[1].

لزم عمرو بن ميمون رحمه الله معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أتىٰ إلى اليمن، فأحبه ولازمه وهجر من أجله أهله

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب ٨/١٠٩.

وعشيرته، وظل ملازماً لمعاذ في تنقلاته في أرض اليمن وبين مخاليفها، ثم رحل معه إلىٰ الحجاز، ومن الحجاز سافر معه إلى ميادين الجهاد في بلاد الشام، وقد مر معنا قوله: قدم علينا معاذ اليمن رسول رسول الله ﷺ من السحر رافعاً صوته بالتكبير، أجش الصوت فألقيت عليه محبتي، فما فارقته حتىٰ حثوت عليه التراب بالشام ميتاً رحمه الله.

تأثر عمرو بن ميمون رحمه الله بشيخه معاذ رضي الله عنه كثيراً، فاشتهر بالعبادة بعد أن شغف بها، وغلب عليه سمت العباد الزهاد حتىٰ قالوا عنه: كان عمرو بن ميمون إذا دخل المسجد فرؤي ذُكِر الله[1].

ترجم له أبو نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء فعده منهم واستهل الحديث عنه قائلاً: عمرو بن ميمون الأودي المتشوق للقاء، كان للحياة مستبقاً وللعبادة معتنقاً[2].

حج واعتمر رحمه الله مرات كثيرة بلغت ستين ما بين حجة وعمرة، وفي رواية أنها بلغت مائة ما بين حجة وعمرة[3].

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) حلية الأولياء ٤/١٤٨.

(٣) المرجع نفسه.

ويبدو أنه كان كثير الملازمة للمساجد، فقد روى أبو نعيم بسنده عنه أن كان يقول: المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره.

وعندما ضعف في آخر حياته عن طول القيام في الصلاة اتخذ وتداً في الحائط وربط إليه حبلاً يستمسك به.

ومن الأدعية التي كان يدعو بها: اللهم إني أسألك السلامة والإسلام والأمن والإيمان والهدى واليقين والأجر في الآخرة والأولى[1].

ويبدو أنه رجع بعد وفاة شيخه معاذ من بلاد الشام إلى المدينة المنوّرة، فقد كان يصلي وراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، روى أبو نعيم بسنده عنه قال: شهدت عمر بن الخطاب غداة طُعن فكنت في الصف الثاني وما منعني أن أكون في الصف الأول إلا هيبته، كما وصف كيفية مقتل عمر رضي الله عنه وما حدث بعد ذلك. وأصابه ما أصاب أهل المدينة من شدة ومحنة أثناء موقعة الحرة التي حدثت في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، ففي الحلية: أنه كان لا يتمنىٰ الموت حتىٰ أرسل إليه يزيد بن أبي مسلم ـ قائد جيش الشام ـ فتعنته ولقي منه شدة، ولم يكد أن

---

(١) حلية الأولياء ٤/١٤٨.

يدعه، ثم تركه، فكان يقول: اللهم أتمنىٰ المـوت، اللهم ألحقني بالأبرار، ولا تخلفني مـع الأشرار واسقني من خـير الأنهار.

ويبدو أنه كان من المعمرين فقد أدرك الجاهلية وامتد عمره بعد الهجرة أكثر من سبعين سنة، قال أبو نعيم وغيره. توفي رحمه الله سنة أربع وسبعين ويقال خمس وسبعين[1] روىٰ عمرو بن ميمون رحمه الله عن كبار الصحابة رضي الله عنهم منهم: عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو ذر وأبو مسعود البدري وسعد بن أبي وقاص ومعقل ابن يسار وعائشة وأبو هريرة وابن عباس وغيرهم.

وروى عنه: سعيد بن جبير والربيـع بن خيثم وأبو إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير وزياد بن علاقة وهلال بن يساف وعامر الشعبي وغيرهم. ذكره ابن حبان في ثقات التابعين ووثقه ابن معين والنسائي وقال عنه العجلي: تابعي ثقة[2].

ومن أقواله رحمه الله: ما تكلم الناس بشيء أعـظم من لا إله إلا الله.

---

(١)، (٢) التهذيب ١٠٩/٨.

عبادتـــه

العبادة هي المنقبة الثانية التي اشتهر بها معاذ بن جبل بعد منقبة العلم، فهو رضي الله عنه عالم عابد، وقد شُغف بالعبادة شغفاً كبيراً حتى غلب عليه سَمْت العبّاد الزهّاد بين أصحاب رسول الله ﷺ، مع أنَّه كان من شبابهم. وكان له بالصلاة ـ على الخصوص ـ تعلُّق كبير بها وحب عظيم لها.

والجدير بالذكر أنَّ شدة التعلُّق بالصلاة ومحبَّتها كان من شأن رسول الله ﷺ وكـان يقول: «وجُعلت قـرَّة عيني في الصلاة»[1].

وكان معاذ يحرص على أن يصلِّي مع رسول الله ﷺ في المسجد النبوي، ثم يرجع بعد ذلك إلى بني سَلِمة الذين كانوا يسكنون في أطراف المدينة المنوَّرة ـ كما مر معنا ـ فيصلِّي بهم إماماً في مسجدهم، وكان معاذ لشدَّة حبِّه للصلاة يطيل بهم،

(١) الحديث أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي من حديث أنس.

فشكَوه إلى النبي ﷺ، لأنَّهم كانوا عمالاً زراعيِّين، يأتـون المسجد متعبين ومرهقين من شدة العمل، وقد يحتاجون إلى الوقت للعناية بمزروعاتهم.

روى البخاري من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنَّ رجلًا أقبل بناضحَين[1] وقد جنح الليل فوافق معاذاً يصلِّي، فبرك ناضحَيه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أنَّ معاذاً نال منه، فأتى النبيَّ ﷺ فشكا إليه معاذاً، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ، أفتَّان أنت؟ ـ ثلاث مرات ـ فلولا صلَّيت بسبِّح اسم ربـك الأعلى، والشمس وضحـاها، والليـل إذا يغشى، فإنَّـه يصلِّي وراءك الكبـير والضعيف وذو الحاجة».

ورواية أنس بن مالك رضي الله عنه للحديث أصرح من رواية جابر ففيها يقول أنس: كان معاذ بن جبل يؤم قومه، فدخل حَرَام، وهو يريد أن يسقي نخله فدخل المسجد ليصلِّيَ مع القوم، فلمَّا رأى معاذاً طوّل، تجوَّز في صلاته ولحق بنخله يسقيه، فلما قضى معاذ الصلاة، قيل له: إنَّ حَرَاماً دخل المسجد فلما رآك طَوَّلت تَجوَّز في صلاته ولحق بنخله يسقيه،

---

(١) الناضح: الجمل الذي يستعمل لسقي النخل والزرع.

قال: إنَّه لمنافق، أيعجِّل عن الصلاة من أجل سَقْي نخله؛ قال: فجاء حَرَام إلى النبي ﷺ، ومعاذ عنده، فقال: يا نبي الله، إنِّي أردت أن أسقي نخلاً لي فدخلت المسجد لأصلِّيَ مع القوم، فلما طوَّل تجوَّزت في صلاتي ولحقت بنخلي أسقيه، فزعم أنِّي منافق، فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال: «أفتَّان أنت يا معاذ. . .» الحديث[1].

ولعل حَرَاماً هذا هو حَرام بن مِلْحان خال أنس، وكان قد قُتل شهيداً مع القراء السبعين الذين أرسلهم النبي ﷺ إلى بعض قبائل العرب ليعلموهم الإسلام وقراءة القرآن الكريم فغدروا بهم وقتلوهم، وهو الذي قال عندما طُعن: «فزتُ وربِّ الكعبة»[2].

وقد استدلَّ بعض الفقهاء بفعل معاذ بن جبل على صحة اقتداء المفترض بالمتنفِّل، بناءً على أنَّ معاذاً كان يصلِّي مع النبي ﷺ الفرضَ، ثم يؤم قومه متنفِّلاً، وهذا مذهب السادة الشافعية، وخالفهم الأحناف لأنَّ من قواعدهم، أنَّ الإمام لا ينبغي أن يكون أضعف حالاً من المأموم، وحملوا الحديث على

---

(١) أحمد في المسند.

(٢) انظر تفصيل الحديث في كتابي أنس بن مالك.

أنَّ معاذاً كان يصلِّي مع النبي ﷺ متنفِّلاً ثم يصلِّي الفرض بقومه.

وكان رضي الله عنه أيضاً يحرص على قيام الليل، ومناجاة الله سبحانه في جوف الليل والناس نيام، وقد جزَّأ رضي الله عنه ليله إلى أجزاء، فخصَّص جزءاً للنوم، وجزءاً لقراءة القرآن الكريم، وجزءاً ثالثاً للصلاة. جاء هذا على لسانه رضي الله عنه في حديث له مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما كانا في اليمن، ففي إحدى زيارات معاذ لأبي موسى، سأل معاذ أبا موسى فقال: يا عبدالله كيف تقرأ القرآن؟ قال أبو موسى: أتفوَّقه تفوُّقاً، أي ألازم قراءته حيناً بعد حين، وقال أبو موسى: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فاحتسبتُ نومتي كما احتسبت قومتي[1]. فهو رضي الله عنه ينام في أول الليل ويرجو ثواب ذلك من الله لأنه ينوي بنومه الاستعانة به على طاعة الله، كما يرجو ثواب قيامه بعد ذلك من نومه إلى طاعة الله.

وكان معاذ بن جبل يرى أنَّ صلاة الوتر واجبة، لا ينبغي

---

(١) صحيح البخاري.

للمسلم أن يتركها، وهو مذهب فقهاء الأحناف، وكان أهل الشام قبل قدوم معاذ إلى الشام لا يصلُّون صلاة الـوتر، فحضَّهم معاذ على صلاتها، وذكر لهم ما سمع من النبي ﷺ في شأنها. أخرج الإمام أحمد أنَّ معاذ بن جبل قدم الشام، وأهل الشام لا يوترون، فقال لمعاوية: ما لي أرى أهل الشام لا يوترون؟ فقال معاوية: وواجبٌ ذلك عليهم؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «زادني ربي عز وجل صلاة، هي الوتر، وقتها ما بين العشاء إلى طلوع الفجر»(١).

وعندما يقف رضي الله عنه بين يدي ربِّه في الصلاة يغلب على قلبه الخضوع والخشوع لجلال الله وعظمته، لأنَّه يصلِّي وهو يظنُّ أنَّ هذه الصلاة هي آخر صلاة له في الدنيا، فصلاته صلاة مودِّع للدنيا مفارق للحياة، ويوصي ولده أن يكون حاله في الصلاة كذلك، فمن وصاياه رضي الله عنه لولده: يا بنيَّ إذا صلَّيت فصلِّ صلاة مودِّع، ولا تظنّ أنَّك تعود إليها أبداً، واعلم يا بنيَّ أنَّ المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدمها، وحسنة أخَّرها(٢).

---

(١) انظر المسند ٥/٢٤٢.

(٢) صفة الصفوة ١/٤٩٦.

غلب على قلبه رضي الله عنه الشوق إلى الجنة والخوف من النار، حتى أسقمه ذلك وأمرضه وأحزنه، وقد مرَّ معنا أنَّه قال للنبي ﷺ: ائذن لي أن أسألك عن كلمة قد أمرضتني وأسقمتني وأحزنتني... حَدِّثْني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها...[1]. وفي رواية الترمذي للحديث: قلتُ يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار[2].
فالخوف من النار والشوق إلى الجنة، هو الذي جعل معاذاً رضي الله عنه يقوم الساعات الطويلة من الليل يناجي ربه، ويقدِّم بين يدي صلاته هذا الدعاء الخاشع: (اللَّهمَّ قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حيٌّ قيوم، اللَّهمَّ طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللَّهمَّ اجعل لي عندك عهداً تؤدِّه إليَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)[3].

وما أحب رضي الله عنه الحياة في الدنيا إلَّا لعبادة الله فهو يصوم في الأيام الحارَّة، ليعاني من الظمأ في الهواجر في سبيل الله، ويقوم في الليل الساعات الطويلة، وقد مرَّ معنا قوله رضي الله عنه وهو على فراش الموت: (اللَّهمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم

(١) انظر الحديث كاملاً في الصفحة ٢٦ من هذا الكتاب.
(٢) سنن الترمذي ٧/ ٢٨٠.
(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٣٣.

أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب في حَلَق الذكر[1].

ومن كان هذا حاله لا بدَّ أن يكون قلبه دائماً مع الله، ذاكراً له غير غافل عنه، وكذلك كان رضي الله عنه ذاكراً لله سبحانه لا يغفل مع الغافلين، بل يقبل على الله ويرغب إليه إذا رأى الناس عن ربهم غافلين، ويوصي تلاميذه بهذا فيقول: إنَّك تجالس قوماً، لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عز وجل عند ذلك رغبات[2].

والذكر في نظر معاذ رضي الله عنه أرجى ثواباً من الجهاد في سبيل الله، حتى كان يقول: (ما عمل آدميٌّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)، قالوا: يا أبا عبدالرحمن ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: ولا إلَّا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: الآية ٤٥).

وقال أيضاً: لأن أذكرَ الله تعالى من بكرة النهار حتى

(١) انظر الأثر كاملاً في الصفحة ٤٢ من هذا الكتاب.
(٢) الحلية ١/٢٣٦.

الليل، أحب إليَّ من أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله[1]. ويرى في الذكر صقلاً للقلب وتجديداً للإيمان، ولهذا كان أحياناً يطلب من تلاميذه أن يجلسوا معه ليذكروا الله، فيقول: اجلسوا بنا نؤمن ساعة[2].

وحب معاذ للعبادة وتعلُّقه بها لا يعني أنَّه كان ينصرف إليها انصرافاً كاملاً ويهمل مطالب حياته الدنيوية، ويترك العمل من أجلها، بل كان رضي الله عنه يوصي تلاميذه أيضاً ليهتموا بمطالب دنياهم ويعملوا من أجل تأمينها، قال أحدهم لمعاذ: علِّمني، قال معاذ: وهل أنت مطيعي؟ قال: إنِّي على طاعتك لحريص، قال: صُمْ وأفطر، وصلِّ ونَمْ، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتنَّ إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم[3].

والعمل من أجل الدنيا ـ في نظر معاذ ـ يكون مع عمل الآخرة، ولهذا قال يوصي رجلاً: إنِّي موصيك بأمرين، إن حفظتهما حُفظتَ: إنَّه لا غنى لك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فآثر نصيبك من الآخرة

---

(١) حلية الأولياء ١/٢٣٥.

(٢) صفة الصفوة ١/٤٩٧.

(٣) المرجع نفسه ١/٤٩٦.

على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظاماً، فتزول به معك أينما زلت[1].

ولا شك أنَّ العبادة والمداومة على ذكر الله، يولِّدان في نفس الإنسان خشية الله سبحانه ومراقبته، وهذا يورث الإنسان الورع، وشدة الحذر من الوقوع في الإثم، ويظهر ورع معاذ رضي الله عنه في حرصه الشديد على العدل بين زوجتيه، فقد كان تزوج امرأتين: أولاهما أم عمرو بنت خلَّاد بن عمرو السلمية[2] والثانية، رَمْلة من بني بكرة السَّكونيَّة، وكان من شدة ورعه رضي الله عنه، إذا كان يوم إحداهما لا يشرب الماء ولا يتوضأ في بيت زوجته الأخرى، ولما توفيتا في الطاعون وكان الناس في شغل عن حفر قبر لكل إنسان، فدفنتا في قبر واحد، فأسهم رضي الله عنه بينهما أيتهما تُقدَّم في القبر[3].

(١) حياة الصحابة ١/ ٣٥٠.
(٢) انظر فتح الباري ٣/ ١٤١.
(٣) صفة الصفوة ١/ ٤٩٢. والحلية.

كرمه وزهده

ومن مناقبه رضي الله عنه هاتان الصفتان الجميلتان، وهما الكرم والزهد، وهما صفتان متلازمتان، فلا بدَّ لمن يزهد في الدنيا أن يكون كريماً جواداً سخياً، إنَّ الزهد بالدنيا يجعل الإنسان بعيداً عن الشحِّ والبخل لأنهما نتيجة طبيعية لحب الإنسان للدنيا وشدَّة تعلُّقه بها.

وليس للدنيا في قلب معاذ مكان بعد أن امتلأ بالإيمان ومحبته لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام، ولا بدَّ أن نضيف إلى هذا أيضاً نشأة معاذ في بيت زوج أمه الجدِّ بن قيس، الذي عُرف بالبخل والنفاق ـ كما مر معنا ـ ممَّا جعل معاذاً رضي الله عنه ينفر نفوراً شديداً من البخل، كما جعله أيضاً شديد الكره للنفاق والمنافقين.

كانت الدنيا بين يدي معاذ رضي الله عنه لا في قلبه، فكلما وصل إلى يديه شيء منها جاد به وأنفقه، حتى كان

ذلك من أسباب إرساله إلى اليمن كما قدمنا، وكل من عرف معاذاً شهد بسخائه وكرمه وجوده، فهذا الصحـابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنه يشهد لمعاذ بصفـة السخاء والكرم، فيقول كما مرّ معنا: (كان معاذ بن جبل ـ رحمه الله ـ من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأسمحهم كفاً)[1].

وشهد أيضاً بمثل هذا لمعاذ، كعب بن مالك رضي الله عنه فقال: (كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سمحاً، من خير شباب قومه، لا يُسـأل شيئاً إلا أعطاه حتى ادّان دَيْناً أغلق ماله)[2].

وقال الأصبهاني صاحب كتاب حلية الأولياء في وصف معاذ:

ومنهم أبو عبدالرحمن، معاذ بن جبل، المحكم للعمل، التـارك للجدل، مقـدام العلماء، وإمام الحكـماء، ومـطعم الكرماء، القارىء القانت، المحب الثابت، السهل السريُّ، السمح السخيُّ، المولى المأمون، والوفيُّ المصون، المؤتمن على العباد والأموال[3].

---

(١) انظر صفحة ٥٢ من هذا الكتاب.

(٢) صفة الصفوة ١/٤٩٣.

(٣) انظر الحلية ١/٢٢٨.

ولما قدم عمر بن الخطاب بلاد الشام أراد أن يختبر أبا عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فأخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرّة وقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلبَّث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالَي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ، وتلبَّث في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، تعالَي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطَّلعت امرأة معاذ، فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبقَ في الخرقة إلا ديناران، فدحا بهما إليها، ورجع الغلام فأخبره، فسُرَّ عمر بذلك، وقال: (إنهم إخوة بعضهم من بعض)[1].

---

(١) الحلية ١/٢٣٧.

رضي الله عنك يا معاذ فلقد كنت بحق معلِّم الناس الخير، وإمام العلماء، وسيد العبّاد والزهّاد، نشرتَ الخير بين الناس من اليمن إلى الشام، ووضعت لأئمة الاجتهاد من بعدك أسس الاجتهاد، وبيَّنتَ لهم معالم الطريق، وعرَّفتَ العبّاد والزُّهَّاد كيف يكون الزهد الحقيقي والعبادة الصحيحة، فأنت إمامهم في الدنيا وأمامهم في الآخرة، قال ﷺ: «معاذ أمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رتوتين»[1].

(١) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة. ومعنى، رتوة: رمية السهم أو الحجر.



خاتمة

ولعلَّ خير ما أختم به الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن أذكر ما قاله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الثَّناء على معاذ، مذكِّراً القارىء الكريم بأنَّ الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يُثنون على أحد إلَّا بما هو أهل له من الثناء.

قال فَرْوة الأشجعي: قال عبدالله بن مسعود:

إنَّ معاذ بن جبل كان أمَّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، فقلت له: إنَّما قال الله: إنَّ إبراهيم كان أمة قانتاً لله، فأعاد قوله: إنَّ معاذاً كان أمَّةً قانتاً لله، وقال: ما الأمّة؟ وما القانت؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: الأمّة الذي يعلِّم الخير ويُؤتم به، والقانت المطيع لله عز وجل، وكذلك كان معاذ معلِّماً للخير، مطيعاً لله عز وجل ورسوله[1].

---

(١) أسد الغابة.



المَــرَاجع

١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، طبعة كتاب الشعب.

٢ ـ أعلام الموقِّعين، لابن قيِّم الجوزية، طبعة دار الجيل.

٣ ـ أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، للمؤلف، دار القلم بدمشق.

٤ ـ الأدب المفرد للبخاري، وزارة العدل في الإمارات.

٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.

٦ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، دار المعارف ـ بيروت.

٧ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار صادر ـ بيروت.

٨ ـ الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق عمارة، الطبعة الثانية.

٩ ـ تاريخ الطبري، دار المعارف ـ مصر.

١٠ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١١ ـ حياة الصحابة، للكاندهلوي، دار القلم ـ دمشق.
١٢ ـ سنن الترمذي، طبعة حمص.
١٣ ـ سنن أبي داود، دار إحياء السنة النبوية.
١٤ ـ صحيح البخاري، مكتبة النهضة الحديثة ـ مصر.
١٥ ـ صحيح مسلم، شرح النووي، المطبعة المصرية.
١٦ ـ صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار الوعي ـ حلب.
١٧ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر ـ بيروت.
١٨ ـ سيرة ابن هشام، البابي الحلبي.
١٩ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي.
٢٠ ـ منتخب كنز العمال، حاشية المسند.
٢١ ـ مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني.

فهرس